

اتجاهات غربية معاصرة

في دراسة التصوف الإسلامي (١)

بقلم المستشرق R. CASPER

تقديم وتعليق وترجمة الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي *

أولاً : بين يدي البحث (للمترجم) :

يمكننا أن نذكر هنا - كحقيقة مسلمة - أن دراسة التصوف الإسلامي في العصر الحديث قد بدأت في الغرب (٢) ؛ إذ شرع جماعة من جهابذة المستشرقين (٣) في مستهل القرن التاسع عشر في التنبيه إلى أهمية هذا الحقل وضرورة اقتحامه ؛ وهذا لا يتأتى إلا بالكشف عن مخطوطاته ، والتعرف على شيوخه ، والوقوف على اصطلاحاته ، وفك رموزه ، وحل مغاليقه ، والوقوف على نشأته ومراحل تطوره ، ومدارسه واتجاهاته ، وطرقه ، ونظرياته ، ونتائجه ، واقعه اليوم .. وقبل ذلك كله دراسة المصادر التي استمد منها واعتمد عليها في إقامة بنائه الكبير ، وقد أجمع المستشرقون على أن التصوف الإسلامي في جانبه : العملي والنظري ، قد اعتمد على التقاليد الصوفية للأديان المختلفة ؛ بل وعلى النظريات الفلسفية القديمة بدرجات متفاوتة .

ولم يتفق المستشرقون على مصدر معين ، بل ذهبوا في تفسير ذلك مذاهب شتى ؛ فمن قائل إنهم استمدوا من التصوف الهندي (الهندوسي بمدارسه وكتبه ثم البوذي) ، ومن قائل إنهم حذوا حذو الزرادشتية والفارسية ، أو الأفلاطونية الهلينية ، أو المسيحية .. الخ ، ومن قائل باستمداده من جميع هذه المصادر ، ولن

*- رئيس قسم مقارنة الأديان بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية العالمية .

نعيد هنا ما ذكرناه في موضع آخر عن هذه المسألة (٤) .

ومن المهم أن نشير إلى أن الباحثين الغربيين قد تعرفوا إلى التصوف الإسلامي من خلال دراستهم للأدب الفارسي والشعر منه على وجه الخصوص (٥) ؛ إذ أن الشعر الفارسي هو شعر صوفي في روحه ونزعتيه ، والتصوف الفارسي يتسم - على الاجمال - بالإغراق في الرمز ، والجنوح في الخيال ، والتعمق في النظر ، والغلو في الشطح . والعجيب أن هذا النوع من التصوف قد جذب إليه كثيراً من المستشرقين الرواد ، فعكفوا على دراسته ومعاناة قراءة مخطوطاته ، وحل طلاسمه في صبر وجلد يستحق الإعجاب والإشادة ، ومنهج ينزع إلى القطع بالتأثرية والتبعية ، وعدم الأصالة ، وإسقاط الأحكام اللاهوتية المسيحية عليه كما سنرى في دراسة " كاسبر " هذه .

لقد وضع هؤلاء المستشرقون الرواد أسس البحث في التصوف الإسلامي وطرائقه ومعالمه من خلال دراستهم للتصوف الفارسي أولاً كما ذكرنا ، وقد طبعوا الدراسة في هذا الحقل بطابعهم المميز ؛ واهتموا بل وبالغوا في الاهتمام بدراسة شخصيات صوفية معينة نعتها الدكتور عبدالرحمن بدوي بأنها « شخصيات قلقة في الإسلام » (٦) ، لكنهم قد استخدموا طرائق علمية جديدة في التحليل والتحصيل مثل المنهج الظاهراتي (Phenomenology) ، ومنهج التحليل اللغوي (Philogy) ، وطريقة تتبع أصل الكلمة وتطور معناها (Etymologically) (٧) ، وبعد أن أرسى المستشرقون قواعد البحث في التصوف الإسلامي بقرن من الزمان تقريباً ، تبعهم عدد غير قليل من الدارسين المسلمين الذين تخصصوا في دراسة التصوف (٨) ، وساروا بها قدماً .

ولئن كان المستشرقون قد التفتوا إلى دراسة التصوف الإسلامي من خلال بحوثهم في الشعر الفارسي ، فإن علماء (مقارنة الأديان) أو (تاريخ الأديان المقارن) أو (الدين المقارن) قد تنبهوا إلى أهمية دراسة التصوف بعامة ، وهذا

أسلمهم بدوره إلى بحث التصوف الإسلامي - من خلال بحوثهم في مقارنة الأديان، وأصبح " التصوف المقارن " اليوم مطلباً مهماً من متطلبات هذا التخصص المعروف ، يقول الدكتور أبو العلا عفيفي عن موقف رينولد نيكلسون مثلاً من التصوف :

" وقد أدرك أن دراسة التصوف جزء لاغنى عنه في تاريخ الأديان المقارن ، لما تلقيه هذه الدراسة من ضوء على بعض المشاكل والمسائل المسيحية في القرون الوسطى " (٩) وتنطوي دراسة علماء (مقارنة الأديان) للتصوف الإسلامي على فوائد جمة إن استطعنا تجنب بعض المزالق ، ولنضرب مثلاً لذلك دراسات الباحث الفرنسي رينيه جينو Rene Guenon ، والألماني تيتوس بوركهارت Titus Burckhardt ، ومارتين لنجز Marten Lings ، وأوستن R. Austin ، وقد دخل هؤلاء الباحثون في الدين الإسلامي من خلال دراستهم للدين المقارن ، ثم للتصوف المقارن .

ومما يسترعى النظر أن اهتمام الباحثين المسلمين بدراسات المستشرقين في التصوف الإسلامي قد توقفت تقريباً عند دراسة الراندين لويس ماسنيون ورينولد نيكلسون ، مع أن دراسات وبحوثاً في غاية الأهمية قد أنجزها المستشرقون بعد هذين الراندين . وإذا ما تفحص متفحص بحوث أكثر الدارسين المسلمين عن التصوف ، يلفيها تتعامل مع أحكام واستنباطات نيكلسون وماسنيون وكأنها خاتمة المطاف في البحوث الغربية ، ومن ثم لاتلتفت إلا نادراً إلى الدراسات التالية لها . وميزة بحث R. Casper الذي بين أيدينا أنه يركز على الاتجاهات الغربية في دراسة التصوف الاسلامي بعد ما سنيون ونيكلسون ، ومن هنا تكمن الأهمية الظاهرة لهذا البحث ، ولعل هذا هو السبب الذي قوى من عزمنا على ترجمته إلى العربية والتعليق عليه . ومن ميزاته كذلك ، أنه يقوم الدراسات والنظريات والأحكام التي يتناولها ، بل وينتقدها في مواضع كثيرة ، وهو يركز على رجالات المدرسة الفرنسية ، ويتبعهم في فرنسا أو في تونس و طهران ، والقاهرة وبيروت . يتناول (كاسبر) في بحثه هذا أربعة اتجاهات رئيسية معاصرة في الغرب لدراسة

التصوف الإسلامي هي :

- ١- الاتجاه الإشراقي الباطني ويمثله هنري كوربان Henry Corbin .
- ٢- الاتجاه " الناموسي " أو التعليمي الذي يبحث عن روح الدين المشترك، ويمثله تيتوس بوركهارت .
- ٣- الاتجاه الذي يقسم التصوف إلى " طبيعي " ، " وفائق للطبيعة " ويمثله لويس جارديه L. Gardet .

٤- الاتجاه الذي يركز بحثه على دراسة شخصية واحدة من كل جوانبها ويمثله : سرج دي بوروكوي الدومنيكاني Serge de Beaurecueil .
وما يجدر ذكره هنا أن (كاسبر) قد حشد في هذه المساحة الضيقة جداً هذه الاتجاهات كلها ، ومن ثم جاءت الدراسة مركزة جداً ؛ مما أوقعه في الغموض أحياناً ، والايجاز المخل أحياناً أخرى ، ويمكننا أن نقول هنا إن من ليست لديه معرفة سابقة بهذه الاتجاهات ونظرياتها ، قد لا يستطيع أن يستوعب هذا البحث لشدة تركيزه وتكثيفه ، لكننا سنحاول أن نلقى بعض الضوء على أفكار البحث الرئيسة إن شاء الله ، وسوف نشير إلى تعليقاتنا بكلمة [المترجم] في ختامها ، وما خلا ذلك فهو من حواشي البحث الأصلية .

ثانياً : نص دراسة المستشرق R. Casper بعنوان :

اتجاهات (غربية) معاصرة في دراسة التصوف الإسلامي :

يلقي التصوف الإسلامي منذ - عقود كثيرة وحتى اليوم عناية ملحوظة من المستشرقين (١٠) ، وتتميز تلك الأعمال التي أنجزها هؤلاء العلماء المستشرقون عن التصوف الإسلامي بالوفرة والجودة ، إذا ما قورنت بدراساتهم التي تناولت علم الكلام الإسلامي (باستثناء عمل واحد أو اثنين) ؛ وهناك أسباب عديدة تكمن وراء تلك الحقيقة ؛ نركز من بينها على الاهتمام الواسع المدى باكتشاف الشراء العقلي والروحي للتصوف Mysticism بشكل عام ، وللتصوف الإسلامي على وجه الخصوص .

وهناك إقرار عام بأن أبرز اسمين لا يزال لهما السيطرة التامة على ريادة

حقل الدراسات الصوفية هما :

رينولد نيكلسون R. Nicholon ، ولويس ماسنيون -Louis Massig non وقد حقق بحث هذين العالمين منذ البداية الأولى مستوى رفيعاً من سعة الاطلاع ، والاحاطة العلمية ، والدقة الفنية ، والعمق الروحي ، ندر أن تمتع به أحد المستشرقين من بعدهم . وعلى مدى نصف قرن من الزمان ، فإن معظم الدراسات التي تناولت التصوف الإسلامي جعلت الرجوع إلى بحوثهم أكثر شعبية ، وأعظم انتشاراً في مناطق عديدة من العالم ؛ ونتيجة لذلك فقد تحقق بالفعل نتائج أدبي كبير عن التصوف الإسلامي ، معتمداً على ترجمات أعمالهم ، واختياراتهم ، ومقالاتهم المنهجية ، ودراساتهم العلمية . وإن تأثير هذين الرائدین لم يكن محدوداً ، ليس في عالم المستشرقين وجمهور المثقفين الأوروبيين وحدهم ، بل إنها قد أيقظا لدى المسلمين أنفسهم ، أو استرعيا انتباههم للاهتمام بالتصوف؛ وهذا يشكل في حد ذاته ظاهرة مهمة سيكون لها شأن عظيم . ولقد اهتموا أولاً وقبل كل شيء بالبحث عن النصوص الصوفية التي كان معظمها لا يزال مخطوطاً ونشرها . وقد ازداد نشر مثل هذه الأعمال تدريجياً مع مر السنين (١١) ، وهكذا ظهرت إلى الوجود مجموعة نصوص صوفية كبيرة ، وأضحى من الممكن الحصول عليها بسهولة ؛ مطبوعة طباعة جيدة غالباً ، ومحقة تحقيقاً علمياً نقدياً في بعض الأحيان .

ويمكننا أن ندرك حجم الاسهام العظيم لهذين الرائدین المبكرين عن طريق فحص الإنجازاتين الكبيرين للويس ماسنيون (١٢) وهما :

- عذاب الحلاج : "La Passion d'al-Hallaj , 1992" .

- بحث عن أصول المعجم الفني للتصوف الإسلامي :

"Essai Surles Origines du Lexique technique de La mystique Musulmane "

إنهما يمثلان خلاصة وافية حقيقية للتصوف الإسلامي مؤسسة على نصوص أصلية كان أكثرها لا يزال مخطوطاً ، ولم يكن العثور عليها متاحاً إلا بصعوبة

بالغة . لاريب أن تحقيق هذه النصوص ونشرها قد أثار عند المثقفين المسلمين الاهتمام بحقل التصوف ، والنظر إليه على أنه عنصر أساسي مكمل للتراث الثقافي في الحضارة الإسلامية .

والآن فإنه يمكن أن يقال : إن العلاقات بين المتصوفة (وكذلك الحال بالنسبة للفلسفة الإسلامية) والمتمسكين بأصول أهل السنة والجماعة ، تكتنفها صعوبات جمة ؛ وقد حدثت - في واقع الأمر - صراعات دموية مما دفع الحلّاج وعدداً آخر من الصوفية أن يضحوا بحياتهم في سبيل التصوف . ومع أن المسلمين من أهل السنة - بعد القشيري والغزالي - قد تفهموا واستوعبوا حقيقة التصوف، وأنه قد أصبح أكثر قبولاً ، إلا أنه لم يشكل إلا جانباً ضئيلاً للغاية في المناهج الدراسية للجامعات الإسلامية .

قد ارتابت مختلف الحركات الإصلاحية في أمر التصوف ارتياباً كبيراً ، ومثله تمثيلاً تاماً بالرهبانيات الدينية (المحظورة في الإسلام) منذ الحركة الوهابية، وحتى الحركات السلفية المتشددة وجماعة الإخوان المسلمين .

ويبدو في الحقيقة أن اهتمام المستشرقين بالصوفية العظام ، قد أبان عن قيمتهم الحقيقية للمثقفين المسلمين ، ونتيجة لذلك فإن كتابات أولئك الصوفية التي كانت مستهجنة من قبل ، قد وجدت طريقها إلى البرامج الدراسية للجامعات؛ حيث احتلت هذه الكتابات الصوفية مكاناً مرموقاً فيها (١٣) ، وكتبت الدراسات العلمية والرسائل الأكاديمية للحصول على درجات الشرف الجامعية المتنوعة عن التصوف والصوفية بشكل خاص (١٤) .

وليس من همنا - هنا - أن نقيم تأثير هذه الدراسات الاستشراقية على الإسلام المعاصر (١٥) ، لكن هدفنا هو محاولة تركيز الضوء على الدراسات الحديثة (الغربية) عن التصوف الإسلامي ، أو بالأحرى على أكثرها أهمية مما يستحق الذكر والتنويه بشأنه ومنهجه ، والتي يمكن أن تمثل الاتجاهات الأساسية في دراسة التصوف الإسلامي ؛ لذلك فإننا سنغض الطرف عن تلك المحاولات التي تمثلت في صورة ترجمات يسيرة ، أو مختارات ، أو أعمال ذات طابع شعبي

وكذلك سنضرب الذكر صفحاً عن تلك الدراسات بيئة السطحية التي تنتمي إلى الصناعة الزخرفية الإنشائية ، أكثر من انتمائها إلى الدرس العلمي (١٦) . والغريب الواقع أن مثل هذه الأعمال بدون شك هي المعروفة جيداً بين الناس وهي واسعة الانتشار والتداول بينهم ، على الرغم من أنها لا تضيف شيئاً يستحق الذكر إلى معرفتنا بالتصوف الإسلامي .

لقد أدت تلك الأعمال بأغاليطها الكثيرة ، وصياغاتها الغامضة ، ومقارناتها السطحية ، إلى سوء الفهم وتضليل الناس . وفي الحقيقة ، قادت الرغبة أو بالأحرى الفتنة بالظاهرة الصوفية بشكل عام مؤلفين معينين إلى الخوض في بحوث تحتاج إلى المتخصصين ، والاندفاع فيها ، دون إظهار الفهم العميق الضروري للخوض في تلك الموضوعات البالغة الصعوبة والدقة .

إنه لاشئ أسهل - في الواقع - من رص مجموعة نصوص مختارة إسلامية ويهودية ومسيحية وهندوسية في الحب الصوفي مثلاً ، ومعروف أن وضع مثل هذه النصوص التي تبدو متشابهة ظاهرياً ، في سياقات مناسبة تستمد منها معانيها الحقيقية ، أمر مختلف تماماً عن مجرد رصها فحسب كما يفعل البعض . وإنه لأمر بالغ السهولة أن يطنب الكاتب في الحديث عن الاتحاد بالله ، أو الاحسان الإلهي ، أو الرحمة الإلهية ... إلخ مؤسساً كلامه على ترجمات تقريبية، بيد أن تحديد المعنى الدقيق للاصطلاحات التي استخدمها صوفية كل دين ، مع الأخذ بعين الاعتبار - أن الطبيعة الجوهرية (أو الخصوصية) لكل لغة ، والحساسية الخاصة بكل صوفي ، فضلاً عن التجربة الحية الذاتية لكل واحد منهم - أمر مختلف .

وفيما يلي عرض لأعمال المستشرقين الرواد والكتابات الخصبية التالية لها ، ولقد أضحي من المتعين أن نتعرف بصورة أكثر دقة وتحديدًا على التراث الصوفي الإسلامي ، وأن نشير إلى تميزه ، وهذا فيما يظهر مناط البحث العلمي المتخصص اليوم . ولنثقف في أن اكتشاف أعمال الصوفية الأقل ذبوعاً وشهرة ، وتحقيقها ونشرها لم يكتمل بعد (١٧) ؛ بل إنه لم يكد يبدأ بعد في بعض المناطق ، ومع

ذلك فلم يعد يرضينا كثيراً مجرد قراءة هذه النصوص ، بل يجب أن تشرح وتوضح ، ونتبين مضامينها الفلسفية والدينية ، ونضعها في مكانها المناسب في النسق الصوفي العام .

ولأنه من الطبيعي أن يكون لكل مفكر رؤيته الخاصة به ومنهجه المعين ، فإن من المفيد أن نحدد تلك الاتجاهات التي تبدلنا أكثر تميزاً بين المناهج التي استخدمها الباحثون الغربيون في دراسة التصوف الإسلامي (١٨) .

الانجاء الأول : الغنوص (١٩) (العرفان) الباطني

في المشرق الإسلامي (٢٠) : هنري كوربان :

I. Esoteric Gnosis of Eastern Islam : Henry Corbin:

لعل أهم دراسة عن التصوف الإسلامي - بلا نقاش - هي تلك التي كتبها هنري كوربان (٢١) مدير مدرسة الدراسات العليا في باريس ، ومدير المعهد الفرنسي الإيراني في طهران . بدأ كوربان عمله عن التصوف بدراسة كتابات شهاب الدين السهروردي المقتول سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، الذي أطلق عليه بعد وفاته (شيخ الإشراق) ووصفه لويس ماسنيون بأنه آخر صوفية "وحدة الشهود" . لقد تجمعت ، وتقاطعت ، وشخصية السهروردي المقتول هذا ، تقاليد صوفية من أديان أخرى متعددة ، وقد كرس هنري كوربان أعمالاً مهمة لدراسة كل واحد منها ، وفيما وراء ذلك فإنه كتب سلسلة من البحوث (٢٢) قد تبدو - ظاهرياً - متفاوتة أو متناثرة ، لكنها ترتبط في الواقع بفكرة عامة يمكن أنه نطلق عليها : حكمة الإسلام الشرقي (في المشرق) .

وأقدم عنصر من العناصر التي شكلت هذه الحكمة ، أو التي اتخذت منها أساساً ومادة لها يرجع إلى ما قبل الإسلام . إلى الزرادشتية : ديانة إيران القديمة (٢٣) ، كما يشير السهروردي نفسه (٢٤) إلى ذلك بوضوح تام ، ويؤكد هنري كوربان على استمرارية هذا التيار في شكل مبادئ زرادشت التي انبعثت من جديد لدى السهروردي ، ولدى الشيعة الفرس حتى يومنا هذا (٢٥) . وإلى جانب

ذلك فإن الفئة الإسماعيلية (جماعة الإمام الشيعي السابع) أو بتحديد أكثر الاسماعيلية الإيرانية قد استمدت من مبادئ زرادشت ؛ حيث قد وجدنا ذكراً لها في النصوص الفارسية .

لقد استعارت الإسماعيلية الإيرانية من المبادئ الزرادشتية ما قد حورته وجعلته بواسطة التأويل الرمزي الباطني منسجماً مع المبادئ الشيعية ؛ كما كان الحال مع الفلسفة الهلينية . وقد كان ناصر خسرو الممثل الرئيس لهذا الاتجاه ، وقد نشر كوربان أعمال خسرو ، إلى جانب بعض النصوص الإسماعيلية الأخرى (٢٦) .

وهناك أخيراً ذلك العمل المهم الذي كتبه عن محي الدين بن عربي ، وعلى الرغم من أن ابن عربي قد ولد في المغرب الإسلامي ، في مرسية سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م ، فإنه قد تفتحت مواهبة وازدهرت عبقرته العقلية في الشرق ، وعلى التحديد في مكة ودمشق حيث يوجد بها قبره ، وقد كان تأثير ابن عربي طاغياً على الإسلام في المشرق ، وبشكل خاص على الشيعة والتصوف الإيراني (٢٧) . ولا بد أن نشير هنا إلى دراسة كوربان عن ابن سينا وقصته الخيالية (حي بن يقظان) التي قرر السهروردي أن ينسج على منوالها في رحلته إلى (مشرق الأنوار) ، كما ينبغي أن نذكر بهذا العدد الكبير من المقالات العلمية التي كتبها كوربان عن موضوعات لها أهمية علمية خاصة ، ونشرها في الدوريات المتخصصة (٢٨) .

ولو اعتبرنا الجانب الكمي وحده ، فمن الواضح أنه سيقابلنا ذلك الجهد الكبير الذي أنجزه كوربان ، ومع ذلك فإن الاتجاهات الكيفية التي انتهجها كانت ذات قيمة ملحوظة ، وإلى جانب ذلك فإنه قد سعى إلى تحقيق عدد كبير من النصوص ، ونشر الدراسات التحليلية ، بيد أنه قد بلغ الذروة باقتحامه ذلك العمل العظيم عن حياة السهروردي وأعماله ، ودعنا نأمل أن ينتهي هذا الباحث المقتدر بعمله الضخم هذا إلى نتيجة موفقة ناجحة . وهذا الإنجاز المشار إليه عبارة عن مجموعة أعمال متنوعة جداً ، لكنها تركز على السهروردي ومصادره ،

وتأثيره .

وفيما وراء التحليلات النقدية للمصادر والعلاقات التاريخية ، فإن كوربان شغوف بإبراز التشابهات أو التماثلات التي تشكل كينونة أفكار معينة ، ثم إعادتها أو تكرار تشكيلها في أديان مختلفة أو أنظمة فكرية مختلفة مثل : الزرادشتية والفلسفة الهلينية الشرقية ، والإسلام الشيعي ، والإسلام السني ، عند السهروردي وابن عربي على الترتيب المذكور .

وفي الحق ، إن من يتتبع تحليلات كوربان النقدية سيجد نفسه في حضرة عالم روحي ، أو في حضرة نمط من الفكر الديني بالغ الترابط والتواصل ، والتسامي على حدود المذهب الديني . ويمكن للمرء أن يصفه باختصار شديد : أنه عالم من النور ، عالم من الملائكة والتجليات الإلهية ، حيث الإشراق الخفي ، والتأويل ، والتفسير الرمزي ، وحيث الخيال الخالق يخلق أكثر وأكثر ، ويقدم المزيد ... المزيد .

في عالم النور ، مصدر كل موجود هو نور (Xvarnah أو نور المجد في الزرادشتية الذي استعاره السهروردي) و الفيوضات المتلاحقة للنور الأصلي وإشعاعاتها تكون درجات الوجود المتكثرة ، أو تجليات النور الأعلى .

وأول هذه الأنوار الصادرة أو الفائضة ، أو المتجلية ، تشخصت في الملائكة المقربين (الأنوار القاهرة) ، ثم الأنوار المدبرة التي تقوم على تدبير كل كائن بشري ، أو بالأحرى كل مخلوق على الإطلاق . ولهذا فإن كل مخلوق له جانبان ؛ الباطن الذي هو في حقيقته الجوهرية ملاك ، فالأرض مثلاً لها ملاكها (وهو ما يطلق عليه في الزرادشتية The Aspent Armaita) أو بتعبير آخر: هي نفسها أي : الأرض : ملاك . والجانب الثاني لكل مخلوق هو الظاهر ، أو العالم أو الهيكل المرئي ، وهو الممكن المتاح فحسب للعقول وللصياغات الظاهرية لعقائد الأديان . ولكي ندرك أكثر الحقيقة الأعماق للأشياء (أي الجانب الباطني النوراني الملائكي) ينبغي علينا أن نتجاوز الشكل أو الهيكل الظاهري ، بأن نصحبه ، ونرجع القهقري .. إلى الوراء .. إلى صورته الأولية - إلى (المثال) .

وهذه وظيفة التفسير المجازي الرمزي أو التأويل (الباطني) (٢٩) .

ولكن ماهي أداة هذه المعرفة ؟

إن النمط العقلي الذي يستعمله الفلاسفة وعلماء الكلام لا يعتبر ملائماً لهذه المعرفة ؟ لأن العقل يمكنه أن يحلّل ، ولا يمكنه أن يعاين أو يذوق . والإيمان بنصوص الوحي (ظاهر الوحي) يزودنا فقط بإمكانية الوصول إلى الظاهر . أما الخيال - المعرفة القلبية - فيمكنه أن يكشف لنا عن الحقائق الأعمق للأشياء ، أو باختصار ، فإن النفاذ إلى عالم المثل هو الذي يحقق هذه المعرفة ؛ إنه عالم الخيال، ولننظمين إلى أنه بالنسبة لكل شيء فإن العالم الحقيقي الواقعي غير المتخيّل ، إنما يكون ، فقط ، عندما تتجسّد الأرواح وتتروحن الأجساد ، والنفاذ إلى هذا المجال (اللامادي واللاروحاني) - عبر التأويل الباطني - يستلزم التحقق بالسر الإشرافي العرفاني .

وبالنسبة لهذا المخطط العام ، فإن كل مدرسة ، وكل مفكر قد أضاف إليه من ذات نفسه ، حسب عبقريته الذاتية ؛ فقد ركز السهروردي كثيراً على المستويات المتعاقبة للألوان الفائضة أو الصادرة .

أما ابن عربي فقد ميّز بين الله الذي لا يحيط به علم ، وهو رب كل (عبد) مؤمن ، وأوضح أن العلاقة بين مصطلحي (رب) و (عبد) هي أن أحدهما خالق للآخر ، فالرب أظهر الموجود الخفي بأن أفاض عليه الظهور ، ومع ذلك فإن الرب بفعله هذا - أي بإظهار الموجودات - أصبح هو نفسه ظاهراً لنفسه ، وبذلك تكون الخلائق مظهرة للحق ، والحق خالقها ، أي مظهرها . وبهذا المعنى فإن عملية الخلق ليست شيئاً آخر سوى إظهار الحق لذاته .

وفي كل مرة يختار فيها كوربان واحداً من بين أولئك الصوفية الذين لم تسلط عليهم الأضواء موضوعاً لدراسة جديدة ، فإنه يدخلنا - بدقته المتساقطة مع قدرته على إنارة معالم القوة ، وإظهار الإلهام الشر - إلى العالم العقلي لهذا الأخير ، الذي هو وثيق الصلة بروحانية الإسلام في المشرق .

ومن المستحيل تماماً أن نخوض هنا في الحديث عن الملامح المميزة لكل صوفي درسه هنري كوربان . ولكي نفعل شيئاً من ذلك فإن من الضروري أن نفحص أولاً وفي معظم الحالات كل سطر مما كتبه كوربان ، بل وما بين سطور هذه الكتابات أيضاً ، هذا علاوة على التعرف على المعجم الفني الذي قد لا يتمثله القراء إلا بصعوبة . لكن من الأهمية بمكان كبير أن نركز الانتباه هنا على المجالات التي عاجلها في أعماله ، وكذلك على المشكلات العلمية التي طرحها للبحث ، وعلى منهجه في الدراسة ، وبعض النتائج التي انتهى إليها .

وفي المقام الأول ، فإن بعداً كاملاً للتراث الإسلامي الصوفي قد تبدى لنا تحت ضوء جديد ، ألا إنه ذلك الموضوع الذي أشرنا إليه آنفاً ؛ موضوع روحانية الإسلام في المشرق ، أو بتخصيص أكثر موضوع التصوف الشيعي الذي يمثل تأثيرات الروحانية الإيرانية المستمدة من الزرادشتية والفلسفة الهلينية في أشكالها الشرقية (الفيشاغورية الجديدة والأفلاطونية التي نقلها ابن سينا ومدرسته) ، إنه التصوف الإشراقي للسهروردي ومتأخري تلاميذ محي الدين بن عربي .

وإننا بحاجة لكي نؤكد هنا أن دارسين معاصرين معروفين قد استرعوا الانتباه من قبل إلى بعض هذه التيارات ، وأن كوربان قد تأثر بهذه الأعمال (٣٠) إلا أن تلك الدراسات لم تشتمل على هذه السعة ، ولم تحتو على تلك التفاصيل التي قدمها كوربان . وما تجدر الإشارة إليه كذلك أن تأليف كوربان تستند إلى أساس وثائقي من الطراز الأول ؛ حيث تعتمد على نصوص لم تكن - في جملتها - قد حققت من قبل ، واضطلع هو بجسامة مهمة تحقيقها . لكل ذلك فإن كوربان - العالم المفكر يستحق الإشادة بجهوده ، من بين كل أولئك المشتغلين بدراسة الإسلام ، أو بمعنى أكثر شمولاً إنه يستحق أن يعرف ويشكر من كل أولئك المهتمين بتاريخ وقضايا التصوف بعامة .

وأحب أن أطرح تحفظاً قد يكون له أثره فيما يتعلق بالمسائل التي سنناقشها بعد قليل ، إذ قد يكون من المفيد أن نحدد رحابة العالم الروحي الذي

كشف لنا كوربان عنه داخل المسرح الإسلامي كله : فمن الواضح أن التصوف الشيعي (الذي درسه كوربان) وبصرف النظر عن منزلته ، لا يرضى أولئك المسلمين الذين ينظرون إلى أنواع التصوف (في الإسلام) نظرة تمييزية تفضيلية . ومن ناحيتي ، فإنني لن أحتكم إلى المقولات السنية أو البدعية فهي دونما ريب وثيقة الصلة بعمل مؤرخ الأديان .

وعلى كل حال فإن معظم المسلمين في الماضي والحاضر على السواء لم يكونوا واعين - في الواقع - بحقيقة تلك التيارات الفكرية التي درسها كوربان ، وهذا يصدق على التصوف بشكل عام (سني وشيعي) إلا أنه يصدق أكثر على التصوف الشيعي ، وإلى ذلك فإنه لا يزال حتى اليوم مراكز وجماعات (٣١) تستند إلى هذه التيارات الفكرية ، وقد خلد كوربان - بدراساته - ذكرها .

وإنني أفهم جيداً تلك الاعتراضات التي يمكن أن تثار ضد البحوث التي تعتمد على وجهة النظر الكمية ؛ إذ ينبغي على المرء أن يتعامل عوضاً عنها مع الجوهر والقيمة النوعية . ومن ناحية أخرى ألا تعنى وجهة النظر الكمية تلك ، أنه ينبغي أن نتعامل مع الإسلام المطبق في واقع الحياة ، ومع الشخصيات التي على قيد الحياة ، وتفضيل ذلك على مجرد التعامل مع الأنساق الفكرية النظرية التخمينية المغرية الجميلة ؟ أو على الأقل ، فإنه إن كانت لأفكار كوربان هذه قيمة بالنسبة لتاريخ الأفكار ، فإن المرء يجب أن يكبح نفسه من التحدث عن إمكانية الحوار بين الجماعات الإنسانية على أساس من هذه الأفكار .

وقد توظف هذه الملاحظة بصورة جيدة كمدخل للحديث عن المنهج الذي استخدمه كوربان - هذا الفيلسوف الخبير بتيارات الفكر الحديث ومترجم بعض أعمال هيدجر Heidegger - الذي يعلن مراراً أن قصده : أن يتخذ من المنهج الظاهراتي (الفينومولوجي Phenomenology) وسيلة للتنفذ إلى موضوع بحثه . وليس من هنا - هنا - أن نفحص عن قيمة الظاهراتية كمنهج بحث . وبالنظر إلى دور الذاتية المتأصلة في المعرفة الإنسانية الذي لا يسمح للإنسان بإظهار الاحترام لفكر الآخرين ، ويخول المرء الدخول إلى نواياهم ومقاصدهم ، عن

طريق استبطانهم ، أي فهمهم فهماً باطنياً . ويحمل هذا المنهج مخاطر كثيرة أقلها أنه يسمح بإضافة ذاتيتين أخريين بدلاً من الحد من هذه الذاتية ، كما أنه يحد من السعي إلى الموضوعية التي تحتفى بها مناهج البحث الأخرى .

وقد أشعر في بعض الأحيان أن فكر كوربان (الشخصي) وتحيزاته Pre-judices قد دفعاه إلى تحريف أفكار المفكرين الذين رغب أن يقدمهم إلينا . إنه ينقل إلى قرائه الأمور التي تروقه هو فحسب ، أو تلك التي يجذب إليها عقلياً وعاطفياً ، وهذه أمور مفضلة لدى العقل الحدسي الانتقائي . ومع ذلك قد يأخذنا الحماس لنسأل عما إذا كان الذي يتحدث إلينا هو : كوربان الفيلسوف ؟ أم مؤرخ الأفكار ؟ أم تلميذ العرفان الإشراقي للتصوف الشيعي ؟ أم حوارى تصوف ابن عربي ؟ . وإنه عندما يدافع عن شيوخ الاشراق ، ضداً يعتبره نقصاً في الفهم ، أو أحكاماً خاطئة ، تصبح لهجة أقل عاطفة ، لكنها مؤدبة على كل حال .

وفي ضوء ماسبق ، يجب أن نميز تمييزاً خاصاً ، وأن نحرص على الدقة في صياغتنا ؛ خصوصاً عندما نتحدث عن الوحدة الوجودية عند محي الدين بن عربي والصوفية الآخرين أتباع هذه الوحدة . وقد أعلن كوربان أكثر من مرة ارتيابه في صلاحية هذا التعريف أو الاسم . وبالنسبة له فإن التجلّي من ناحية والحوار والثنائية على المستوى الصوفي (المعرفي) من ناحية أخرى ، يسمح لفكر أولئك الصوفية بتجاوز تحديد الوحدة الوجودية . وإنه يعترف - في مكان آخر - مع ذلك ، بإمكانية الحوار المستند إلى الاشتراك أو حتى (الاتحاد) الجوهرى بين الله والمخلوق (٣٢) . ولم يستخدم كوربان - ولا ابن عربي - قياس التمثيل أو التشابه الجزئي . والنتيجة التي يبدو أنها متضمنة في كل ذلك هي احلال الوحدة الجوهرية محل الوحدة الوجودية . ولاستطع المرء أن يعد ذلك ميزة ، على الرغم من أنه قد يبدو أنه أكثر دقة أو صحة . وقدم معارضو كوربان دعوة - على الأقل - لفحص هذه المشكلة بصورة أكثر عمقاً ، وهو أمر ذو أهمية مؤكدة .

وهناك موضوعات أخرى كثيرة قد اختارها كوربان للدراسة وناقشها

وفندھا وأنجز كل ذلك بهمة عالية ، ومن المستحيل بالطبع أن ندرسها كلها هنا ، حتى وإن بدا ذلك أمراً مفيداً .

ويشكل فكر كوريان - في الحقيقة - سواء أكان تلك القضايا التي ناقشها ، أو أولئك المؤلفين الذين درسهم - عالماً شديد التعقيد بمقولاته الخاصة ، وبمعجمه كذلك ، عالم له قدرة على احتواء أفكار وتصورات شديدة التباين والتنافر (٣٣) .

ولنأخذ مثلاً واحداً فقط ، ولنطمئن إلى أنه يمثل أمراً له أهمية في فكر كوريان ، إذا دعنا نتأمل ما أشرنا إليه من قبل على أنه المرتبة الوجودية للمثال أو الرمز . إنه يعارض أولئك الذين ينظرون إلى عالم الخيال على أنه غير حقيقي . أما بالنسبة له فإن هذا العالم واقعي في الحقيقة ، أو حقيقي في الواقع ، والعالم المشهود ليس إلا مظهره له ، فللمثال أو لعالم الخيال شبه المادي حقيقة وجودية ، إنها - المثل - التي تنتهي إلى عالم البرزخ حيث تلتقي الأرواح بالأجسام ... هذا عالم الرموز والمثل ، وإن الرمز - مع ذلك - وليس المرموز هو الحقيقي الوجود .

ويمكن للمرء أن يسأل : أليس ذلك يورطه (وإن بطريق لا شعورية) في عملية تحويل للمستويات المختلفة ، أي عملية تحويل المستويات العقلية والوجودية ومستوى التعبير الصوفي والبناء الميتافيزيقي . وإني لا أرى - من جانبي - قيمة لجعل الرموز والمثل هذه أموراً مادية ، (أي تجسيدها) أو تشخيصها كما يفضل كوريان ، أي منحها ذواتاً مشخصة ، إنها تجد حالتها المناسبة لو اعترف بدرجات التسلسل الهرمي للمعرفة . ولنأخذها واحدة من صياغات كوريان المثيرة للإعجاب ، وإنها ليست تضييعاً للوقت بالنظر إلى تحقيقها نتيجة متميزة (٣٤) .

لقد تأثر كوريان بموضوعه إلى حد المحاباة والانحراف عن الصراط ، وما نشير إليه هنا هو دفاعه الجدلي عن الإشراق أو العرفان في مقابل العقائد الدينية. إن المسألة مهمة جداً ولها نتائج عديدة سنسكت عنها الآن ، ونحن ندرك أن لكل

إنسان بالطبع الحرية في أن يقرر اختياراته الدينية والفلسفية . ومع ذلك فإن الصراع أو الحوار بين وجهات النظر المتعددة يستلزم الحوار معها ، كما هي في الواقع ، وكما ترى في نفسها .

ويظهر لي أنه بينما أضفى كوربان قيمة عظيمة على الإشراف أو العرفان الصوفي ، فإنه في تقديمه أو في طرحه للأرثوذكسية المسيحية ولعقيدة أهل السنة والجماعة الإسلامية ، فإنه نادراً ما يعترف لها بتلك القيمة ، هذا فضلاً عن نزوعه إلى التشويه المغالي فيه . وكنا نتمنى أن لو استطاع كوربان توظيف المنهج الفينومولوجي بنفس النجاح والحماس في الحالين كليهما .

ومنذ مطلع هذا القرن بوجه خاص ، فإن الديانة الشخصية الروحية العرفانية ، قد عورضت بصيغ الديانات التاريخية التقليدية التي لها وجه اجتماعي ، وقد قيل إن العرفان العالمي وحده يمكن أن يوحد بين جميع أولئك المؤمنين الذين مزقتهم عقائدهم الدينية ، ومع أن هذا التقابل ليس جديداً ، فإنه قابل للنقاش والفحص .

إن المسألة الحقيقية التي ينبغي أن نتعامل معها هنا ، هي دور السلطة المذهبية (المرجعية) وصلاحياتها في الشئون الدينية ، سواء أكانت سلطة الكنسية الكاثوليكية ، أم الإجماع في الإسلام . هذه السلطة مقيدة بتعريف النص الموهي به وحدوده ، لذا فإنها تقف موقف المعارضة من التفسير الباطني العرفاني ، الذي يسلك بطريقة مدعاة وبحرية روحية ، ليؤسس بمفرده تصوقاً حقيقياً موثقاً به . وتأسيساً على وجهة النظر هذه ، فإن الإسلام الحقيقي هو ذلك النوع الإشرافي (المبدأ الشيعي) ، والمسيحية الحقيقية هي تلك العرفانية الدوكاتية Docetic التي انتشرت في القرن الأول من العصر المسيحي ، والتي انتحلها - أخيراً - جماعة معينة من صوفية (٣٥) Rhineland .

وهذه الثنائية المتعارضة ، مصطنعة في جانب منها ، إذ أنه قد ظهر أن الإسلام في أكثر صوره رسمية لم يرفض التأويل رفضاً قاطعاً ، ولم يعترض على

التصوف جملة وبكل تأكيد (٣٦) أما بالنسبة للسلطة الكاثوليكية فإنها رفضت الغنوص العرفاني ليس على اعتباره تفسيراً روحياً للأسفار المقدسة ، ولكن رفضته بسبب افتراضاته المسبقة ، ونتائج التي بدا أنها تناقض الرسالة المسيحية من أساسها .

ولو بحث المرء عن أصل كلمة عرفان أو غنوص Gnosis بحثاً لغوياً يعني بأصل الكلمة وتطورها (Etymologically) لأمكن أن نتحدث عن غنوص أرثوذكسي مثلته مدرسة الإسكندرية بشكل بارز ، أو ليس علم اللاهوت الكاثوليكي نفسه معرفة عن طريق الإيمان ، أو عرفان بواسطة الإيمان ، وكذلك فإن السلطة الكاثوليكية لم تعارض التفسير التنبؤي لنصوص الوحي ، بل على العكس فإنها أخذت على عاتقها القيام بهذا التفسير التنبؤي ، واعتبرت صوت الروح صالحاً (وأنه ينفث حيثما يريد) . وفي الجانب الصوفي؛ فإننا لانعرف كيف (من وجهة النظر التاريخية) ممكن للمرء أن يستبعد يوحنا الصليبي ، وتريزا الأفيلية وكثرة كاثرة من المتصوفين المسيحيين الذين كانوا صوفية أصلاء واعترفت بهم الكنيسة ، وإن هذا يعلى حقاً من أهمية شأن الطبيعة الذاتية للحياة الدينية ، وبصفة خاصة الحياة الصوفية .

وبالنسبة لكوريان فإن التصوف الإسلامي منذ ابن عربي ، هو تصوف عرفاني أساساً ، وإنه قضية معرفة ، إنه أمر عرفان وإشراق بواسطة المشاهدة والخيال الخالق ، وتأويل المعاني الباطنية لنصوص الوحي ، مع استدبار الظواهر الخادعة للمعنى الحرفي ، وليفهم أنه (العرفان) تحرير للنفس وخلص لها عن طريق المعرفة (٣٧) .

وبالنسبة لنا فإن الخلاص لا يكمن في اللجوء إلى المعرفة عن طريق الإيمان بنصوص الوحي ، أو بواسطة التقليد الديني ، ولكن في اتحاد المخلوق مع الله بواسطة الحب الحافظ أو المنجّي Saving Love . والتصوف ليس حالة من حالات المعرفة التي يلحق الحب فيها الفهم والإدراك فحسب ، إنه اتحاد المحبة

الذي يستغرق الحياة كلها حتى الموت ... ولقد فهم الحلاج هذا حق الفهم .
وأخيراً ، قد يكون مفيداً أن نشير ولو بصورة محددة ، على أي مستوى
يمكن أن تكون الاختيارات ؟ إنها لو كانت على مستوى الفلسفة وتاريخ الأفكار ،
فإنه يمكن للمرء أن يفضل الدين بدون سلطاته الكنسية (٣٨) . ومع أن كوربان
يقتبس نصاً وثيق الصلة بالموضوع هو : « ليس كافياً أن نقرأ الكتب » (٣٩) إذ
فيه إشارة إلى أهمية القيادة والإرشاد الروحي . ولو أن الاختيار واقع على
المستوي الديني المحدد ، فإنه لن يكون ثمة اختيار بين المعرفة الفردية والسلطة
الدينية . ولكنه سيكون اختياراً بين تقاليد الأديان المختلفة التي لكل واحد منها
سلطته الدينية الخاصة به ، وهذا يقع خارج دائرة الفيلسوف ، إنه ينتهي إلى
محيط الإيمان .

وهذا ليس نهاية المطاف ، إذ أن هذه الملاحظات التي قد تكون فاصلة
بالنسبة للمسألة الدينية ، هي نفسها تأخذ أهمية مساوية لو اعتزم المرء أن يشرح
في حوار بين الأديان ، وهذا ما يقترحه كوربان نفسه ، ولهذا السبب رأينا نحن أن
نتحدث عنه ، فهل من المؤكد أن الحوار بين الإسلام والمسيحية يكون أيسر طريقاً
وأكثر تأثيراً لو اضطلع به مناصرو العرفان في كل جانب ، بدلاً أن يقوم به رجال
الدين الرسميون في الديانتين ؟

ويجب أن نشير - هنا - مرة أخرى إلى المكانة الهامشية التي يشغلها
العرفان الشيعي في المسرح الإسلامي ، وهل من الواقعية في شيء أن نظن أن
الغنوص المسيحي - الذي وجد في الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية (المنسوب
إلى باسيليوس ، وفالنتين ، ومركيون) والذي اختفى منذ وقت بعيد جداً والذي لم
يكن نموذجياً إلى حد كبير في نظر التقليد المسيحي حتى في تلك الفترة المبكرة -
يمكن أن يبعث من جديد ؟

إني لا أظن أن حواراً مفيداً يمكن أن يتأسس - بصورة مجيدة - خارج نطاق
الإسلام الحقيقي والمسيحية الحقيقية ، إنه لا بد أن يكون بين الإسلام والمسيحية

ممثلتين في تقاليدهما وقيمتيهما وواقعتهما الحي الذي يتأسس على مبادئهما ومثلتهما الظاهرة والباطنة ، ويبدو أن هذا شرط ضروري لكلا الجانبين ، وبغيره سيكون الفشل محتما .

وإن النقاط السابقة - إذا ما أمكن تجنب الخلط وسوء الفهم - جدية بالإثارة والبحث ، وإذا ما غرضنا الطرف عن المسائل التي أثيرت من وجهات نظر معينة ، وبتصريحات خاصة ، وأمكنا أن نميز بين النظرة الشخصية لكوربان من ناحية ، وبين العمل العلمي الجدير بأستاذ مثله ، من ناحية أخرى . وهذا الفصل بين النظرة الشخصية لكوربان ، وبين أستاذه يقرب الشقة .

ومع أن عمل كوربان قد بولغ في تقديره ، وأعطى من الاهتمام الشيء الكثير ، فإن محاولته في الواقع عمل يستحق الجهد . ويمكننا أن نزيد بلاحفظ تقدير خبير في الحقل يقارن عمل كوربان بتلك الأعمال التي أنجزها لويس ماسنيون . ونختتم هذا بقول لويس جارديه عن كوربان : إن تحقيق كل هذه النصوص يشهد بانحياز عظيم يصعب أن يتوفر لشخص واحد . لقد كانت إحاطة كوربان بالمخطوطات ماثراً للإعجاب ، كما كانت له قدرة فائقة على استبطان النصوص التي ينشرها ، وعلى بعثها داخلياً . (٤٠)

الانجاء الثاني :

"الناموس" والوحدة التوفيقية بين الأديان :

II- Tradition and Syncretistic Monism : Burckhardt.

لئن كان هنري كوربان شغوفا بدراسة ابن عربي بسبب صلته بالتصوف الإيراني وتأثيره عليه ، فإن ابن عربي نفسه هو ملهم تيتوس بوركهارت ، ولقد كان الإلهام في حالة بوركهارت هذه مسيطراً ومحيطاً إلى الحد الذي قاده إلى أن يصبح واحداً من مردي هذا الاتجاه الروحي لابن عربي . ولئن كانت أعمال تيتوس بركهارت وأفكاره أقل تميزاً من تلك التي أنجزها كوربان ، فإن المؤلفين كليهما -

مع ذلك - يمتلكان خصائص معينة مشتركة ، مثل سعيهما الحثيث نحو إقامة أساس ميتافيزيقي للتصوف ، والدفاع عن العرفان الباطني ، والاعتقاد بالتقابل والتعارض بين الشرق الصوفي والغرب العقلاني العلماني . وحسبنا ما ذكر آنفا عن كوربان .

أما عن أصالة " تيتوس بوركهارت " فإنها تكمن - من ناحية - في دوره كمتحدث باسم ذلك التيار المسمى (التعليمية) أو الناموسية . ومن ناحية أخرى : انحيازه الواضح إلى الجماعة التوحيدية التوفيقية بين الأديان والمذاهب . ولا تعتبر المدرسة الناموسية هذه بنت اليوم بغير أسلاف سابقين ؛ لأن أبوتها تكمن في أولئك العلماء المهتمين بدراسة تاريخ الأفكار ، وهي ترجع أساساً إلى " رينيه جينو (٤١) Rene Guenon " الذي توفي في القاهرة سنة ١٩٥١ م ، الذي انهك من خلال موقعه هذا - في الاعتراض على المادية العلمانية الغربية الحديثة ، ومحاولة اكتشاف الناموس الديني للبشرية كلها ، وعلى الأخص ما يتعلق بالجانب الصوفي منه ؛ ذلك الذي يعد - في نظره - قادراً على لم شعث كافة المؤمنين (من أصحاب الديانات) أو في أقل القليل تلك الجماعة التي كانت واحدة قبل أن تفرقها الأديان والتحلل . لقد انبثقت هذه المدرسة تحت شعار : " دراسات في الناموس الديني " وعملت على دراسة وتقويم التصوف في الهندوسية (Jean Herbert) ، والبوذية (D.T.Suzuki) والإسلام (T.Burckhardt) وقد نشرت هذه المدرسة دراسات تمهيدية ونصوصاً مترجمة (٤٢) .

وبهذا فإن " بوركهارت " قد قدم تصوف ابن عربي وتلاميذه من أنصار مذهب الوحدة الوجودية ، ولنا أن ندرك أن ابن عربي قد مثل ميزة مزدوجة بالنسبة له ؛ من حيث تأثيره الذي سيطر على التصوف كله من بعده ، ومن حيث مذهبه الذي ينسجم بصورة ممتازة مع تعاليم مدرسة الناموس الديني العام للبشرية القائلة بالعرفان الإشرافي لأهل المشاهدة والكشف ، وبأزلية المثال والرمز ، وبالتوفيقية العالمية للأديان المتعالية على تفرق العقائد الدينية .

لقد حلل " بوركهارت " الملامح المختلفة لمذهب ابن عربي ، وطور البحث في العناصر الأساسية لفكره ؛ مثل " العالم الأصغر " و "العالم الأكبر" ، و "الإنسان الكامل" ، و " العرفان الاشراقي " ، و " والتأويل الرمزي " ، و " شعيرة الذكر الصوفي " . وقد بذل "بوركهارت" جهداً تحليلياً كبيراً في محاولة منه لاكتشاف الأساس الميتافيزيقي للتصوف ، وقد تبين له أن الأفلاطونية كانت ملهمة ابن عربي بصورة مباشرة ، ولقد قدمها على أنها مبدأ صدور وتجلى ، وليست خلقاً مباشراً . ومرة أخرى يجد المرء نفسه أمام أفكار من ذلك النوع الذي اهتم به كوربان اهتماماً عميقاً ، لكن بينما عالج كوربان هذه الموضوعات بالمنهج الفينومينولوجي ، فإن " بوركهارت " قد عالجها - من موقعه كمريد للشيخ ابن عربي - بواسطة المنهج الإيماني (إن صح هذا الوصف لمثل هذه الحالة من الالتصاق الفكري والعقلي بين بوركهارت وابن عربي) .

وينبغي علينا أن نمنع النظر في وجوه الاتفاق والاختلاف في وجهتي النظر هاتين ، ومهما يكن من أمر فإن موقف " بروكهارت " يمتاز بالوضوح ، وإنه يعترف صراحة بال Monism ، ويقنع بنوع من الوحدة الجوهرية بين المخلوقات ، ومع ذلك فإنه يعترض على الـ Pantheism الوحدة الوجودية لكل المخلوقات ، وإن كل ما عدا الله لا يتمتع بوجود حقيقي . والتوحيدية بالنسبة لبوركهارت هي المحصلة المنطقية لعقيدة الإسلام الجوهرية التي هي الاعتراف بوحداية الله . وبالنسبة لهذه النقطة ، ومدى توافق هذا النوع من التصوف مع نصوص الوحي ، فإننا نترك الحكم عليها للمسلمين أنفسهم .

ولولا خشية التكرار والإملال لأفضت في هذه التحليلات ، لكن هذا يكفي لنعرف أن "بوركهارت" قد قدم بإخلاص مذهب وفلسفة الاتحاد الصوفي داخل نطاق ديني مؤسس على المستوي الإيماني .

الإنجاء الثالث : التصوف الطبيعي والفائق للطبيعة :

III- Natural and Supernatural Mysticism , Louis Gardet.

نقابل عند لويس جارديه نوعاً من التفكير النقدي لمادة التصوف الإسلامي الذي ينبثق من اتجاه يختلف تماماً عن كل من اتجاهي كوربان (الفلسفي الاشراقي) وبوركهارت (القائم على مستوى الاختيارات الدينية) لقد انشغل جارديه الفيلسوف ذوالفكر النافذ الدقيق - مثل أستاذه ج مارتين - بالقضايا ذات الطبيعة الميتافيزيقية ، وعلى الخصوص قضية المعرفة . وإنه كلاهوتي متشدد في تمسكه بالمذهب التوماوي الأورثوذكسي ، قد تحمل مخاطرة إجراء هذه المقارنات غير المبررة ، أو غير المرخصة ، (مذهبياً) مع الحرص على احترام قيمة التجارب الدينية في سياقاتها المتعددة .

وعموماً فقد تسنم جارديه مكانة مرموقة بكل ما قام به من دراسات في شتى مناحي الفكر الإسلامي (٤٣) ؛ في الفلسفة ، وعلم الكلام ، والتصوف (٤٤) . ولقد تتابع ظهور بحوثه في المجالات العلمية اللاهوتية المتعددة لسنوات طويلة ، ثم نشر أخيراً محصلة تلك الدراسات تحت عنوان عام بالاشتراك مع الأب قنواطي (٤٥) .

.. لقد شغلت المبادئ الأساسية التي تحكم تفسيره للتجارب الصوفية ثلاثة أجزاء متميزة ، ثم قدم النصوص المعبرة عن مراحل الطريق الصوفي ، ثم درس - أخيراً - وبإطناب شعبية الذكر المعروفة لدى الصوفية .
والمبدأ الأساسي الذي يتخذه جارديه مفتاحاً لتفسير التصوف الإسلامي ، كما يتخذه أيضاً لتفسير التصوف في الأديان الأخرى يكمن في التمييز بين التصوف الطبيعي والفائق للطبيعة . فالتصوف الطبيعي هو التجربة الناتجة من المطلق الذي هو عين وجود الفعل الذي يتشكل للصوفي ، وهذه التجربة تكون ثمرة التجرد (العزلة) التام ، وليس فقط عن المخلوقات كلها ، بل حتى عن كل نشاط

عقلي ، وبهذه اللأدرية فإن الروحية تقف في مواجهة النزعات المناوئة للمجال الطبيعي للمعرفة .

وهذه الطريقة الصوفية - في حالتها الصافية - تكون من خلال التحقق بقوى الروح الإنسانية ، وبالرجوع إلى نقطة الانطلاق العقلية - حسب تعبير ماسنيون - يحقق هذا المتصوف عملاً وجودياً تاماً ، ويحصل على متعة فائقة في ظل هذا النظام الطبيعي . وهذا التكنيك ذوفعالية للصوفي ، وهو يكون بواسطته في نفس الوقت (منه وإليه) .

أما التصوف الفائق للطبيعة ، فهو من حيث الأساس منحة النعمة الإلهية، التي تمكننا من تجريد أنفسنا وعزلها عن الأغيار والتوجه بالكلية نحو الله تعالى . وأنه خارج طاقة أي تكنيك صوفي طبيعي ، وليس أثراً أو نتيجة لأي تكنيك . إنه يجب أن يتلقاه الصوفي وهو في حالة تأثرية (سلبية .. أي قبول المؤثرات الواردة بدون فعالية في طلبها واستدعائها ، وإنما هي تهبط عليه وتؤثر فيه ، فهذا النوع وهبي والنوع الأول كسبي) وذلك عقب استعدادات ضرورية ، لكن هذه الاستعدادات ليست فعالة في حد ذاتها ، أو بنفسها ؛ بل إنه الحب الذي يمثل في نفس الوقت وسيلة وغاية الاتحاد بالله ، وبدون فعالية من جانب هذا المتصوف .

والتصوف الطبيعي - ذلك الذي يلائم الوضع الطبيعي ، قد يكون - في حالة التصوف الفائق للطبيعة مساعداً أو عائقاً ، وهذا يتوقف على ما إذا كان الصوفي سيتوقف عنده - بأن يكون إغراؤه طاغياً - أو سينطلق ليخلق فيما وراءه .

والحق إن هذا التمييز بين هذين النمطين للتصوف لم يوضع أصلاً للتصوف الإسلامي ، بل إن الذي أثاره هو Olivier Lacombe في دراساته عن التصوف الهندي . ولقد استعاره Maritain ، واستخدمه وعمقه في تأليفه الواسعة عن نظرية المعرفة ، ثم جاء تلميذه لويس جارديه وطبقه على التصوف الإسلامي . ويبدو - في واقع الأمر - أن هناك تجارب صوفية معينة مستنبطة ومعتمدة في

جانب منها على التصوف الطبيعي بشكل جزئي فحسب ؛ لأن المناخ التوحيدي في الإسلام يكبح حركة الارتداد إلى الذات . ولقد كان البسطامي ومتصوفة وحدة الوجود التابعون لابن عربي - في رأى جارديه - أمثلة تقترب أو تبتعد من النمط الخالص للتصوف الطبيعي . أما الحلاج ومتصوفة الاتجاه الشهودي (أولئك الذين يفهمون الاتحاد مع الله على أنه اتحاد الإرادة والقصد والشهود) فإنهم يمثلون - في المقابل - التصوف الفائق للطبيعة . والمعجم المستعمل من قبل كل صوفي يجعل من الممكن رسم خطوط التمايز بين نمطى التصوف هذين .

وينبغي للمرء أن يسأل عما إذا كان التصوف الذي درس لويس جارديه (واستخلص منه هذه النتائج) هو التصوف الإسلامي في حد ذاته ، ودخل حدود رؤاه ومعطياته الذاتية ، أم أنه حاول أن يطبق عليه نظريات وضعت وطورت في نطاق تقاليد صوفية لديانات أخرى مخالفة ، وأراد جارديه أن يتأكد من صحتها ؟ وإن الأمل في أن نجد في كل من البسطامي والحلاج ، على سبيل المثال ، نماذج أو عينات لنمطى التصوف : الطبيعي والفائق للطبيعة ، على التعاقب إن هو إلا تبسيط لتجارب صوفية معقدة وعصية على التفسير ، خصوصاً إذا وضعنا في اعتبارنا جميع النصوص الصوفية المنسوبة إليهما ، وتضم كتابات البسطامي -مثلاً- من عبارات الاتضاع ورجاء الرحمة الإلهية السابقة ، ما يبدو أنه ليس معروفاً للباحثين على نطاق واسع .

ويمكن أن نجيب بأنه إذا اعتبر التمييز بين نوعي التصوف الطبيعي والفائق للطبيعة هو الطريقة الوحيدة لدراسة التصوف ، فإن هذه الطريقة لاتقدر جوانب التصوف الإسلامي الأخرى حق قدرها ، لكنها - مع ذلك - تلقى ضوءاً على المشكلة الأساسية للتصوف .

وإن التصوف الفائق للطبيعة في مظاهره المتنوعة ، وبعقلانية وفعالية تكنيك الارتداد إلى الذات ، هو بكل تأكيد " إغراء التصوف الذي لا يقاوم " .

ويجب أن تصفى التجارب الصوفية الحقيقية في الإسلام وفي أي ديانة أخرى - من الجفاء والشوائب التي تهدد بتشويهها وإطفاء بريقها . وإن تدني

مستوى الجماعات الصوفية - اليوم - يكشف لنا أن الخطر حقيقي وليس متوهماً.

إن النمط الذي تتميز به دراسة جاردية للتصوف الإسلامي يكشف عما يتمتع به من حكم جيد على المستوى الديني اللاهوتي ، والتفكير النقدي الفلسفي . ولنا أن نشق من أن فكر لويس جاردية كان مشبعاً بالمذهب التوماوي في جانبه الفلسفي واللاهوتي ، ومن المستحيل أن نتخيل جاردية مفكراً لا يملك هذه الإطار المرجعي ، ومن المهم أن نقدر أصالة غرضه .

وقد كان جاردية معروفاً بدراسة القضايا المذهبية المقارنه في كل من اللاهوت والتصوف (٤٦) ، وقد أظهر في كل دراساته براعة فائقة في وضع كافة المثل في إطاراتها الدينية ، وفي بيان وجوه الاختلاف والاتفاق فيها . ومن ناحية أخرى ، فإن جاردية المتفلسف قد أعان جاردية اللاهوتي ، وإن كان أي منهما لم يتدخل في شئون صاحبه . وفي حالة التمييز الخاص بين التصوف الطبيعي والفائق للطبيعة ، على المرء أن يركز الانتباه على المصطلحات المستخدمة ؛ لأن هذا التمييز بين هاتين الطريقتين للتصوف ، هو - بدون نقاش - ثمرة التفكير اللاهوتي المسيحي ، الذي تم داخل الإطار المسيحي أصلاً . ومع ذلك فإن مجال تطبيقه يمكن أن يمتد وراء هذه الحدود ، إذا ما تأسس على المحافظة على التقاليد والفحص النقدي للحقائق المميزة ، وبناء على ذلك يمكن للنقاش أن يتطور على المستوى الفلسفي الخالص .

وقد لا تكون أسس الإسناد التي عوّل عليها جاردية مقبولة من كل الناس ، لكن أحداً لا يمكنه أن يتجاهل جهده في توضيح التصوف ، ومشاكله الأساسية على المستويين ؛ الفلسفي واللاهوتي . وإن قيمة محاولة جاردية تكمن في شمول تحليله ، واتساع نطاق تأليفه ، وما قدمه من أفكار أساسية ضابطة لتفسير كافة أنواع التصوف ، وهو عمل بالغ الأهمية . ويأمل الباحث أن يفيد أولئك المهتمون بدراسة مشكلات التصوف الإسلامي بالنور الذي أضاءه جاردية بفكره ومنهجه .

الإنجاء الرابع :

التركيز على دراسة شخصية صوفية من كل جوانبها بنظرة لاهوتية:

IV- A Scientific Monograph with Theological Perspectives : Serge de Laugier de Bearecueil

كان المؤلفون السابقون الذين قدموا تفسيرات منهجية للتصوف على وعي تام بحقيقة أن أعمالهم ذات طابع مؤقت في طبيعتها إلى حد ما ، كما أنها لم تتأسس على دراسات علمية مفصلة للشخصيات الأساسية (الرموز) والأفكار المحورية للتصوف الإسلامي . وأن كل دراسة بنائية منهجية لاتعطي أثرها مالم تأخذ على عاتقها دراسة المصادر ، وتحقيقها تحقيقاً نقدياً ، واستعادة تصور المسرح أو الظرف الذي وقعت فيه التجربة الصوفية .

ولمثل هذا الضرب من الدرس قد كرس (سرج دي بوروكوي Serge de Laugier de Bearecueil) جهده ، وإنه كعضو في معهد الدومنيكان للدراسات الشرقية بالقاهرة :

"Institut Dominicain d'Etudes Orientales in Cairo"

قد حصل على ميزتين هما : الدراسة والتربية اللاهوتية الممتازة ، والاتصال المباشر بالواقع الإسلامي ، وقد ركز (S. D. B.) انتباهه منذ أكثر من خمس عشرة سنة على دراسة متصوف مسلم واحد ، لم يكن معروفاً في الغرب إلا على نطاق ضيق جداً ، ورغم أنه واحد من أكبر الرموز الممثلة للتصوف الإسلامي: إنه الشيخ عبدالله الأنصاري الهروي ؛ شيخ هراة الصوفي (توجد هرات في أفغانستان اليوم) الذي توفي سنة ٤٨١ هـ / ١٠٩٨ م ، وقد كان في الحقيقة واحداً من الرموز الأساسية الممثلة لمذهب أو اتجاه وحدة الشهود : (Nonmonistic) في التصوف الإسلامي .

قد كان الأنصاري مشايحاً مستقلاً لتعاليم الحلاج (٤٧) (جمع بين موافقته ومخالفته في بعض التعاليم) . وما يستحق الذكر قبل كل شيء انتماؤه إلى ذلك النوع من الحنبلية المتزمتة إلى حد تمسكها بالتفسير الحرفي (٤٨) المؤدي إلى

التجسيم ، وقد اتهم في هذه المسألة (التجسيم) بانتماؤه إلى الخط الأصولي الأكثر صرامة وتشدداً .

ومما تجدر ملاحظته كذلك ، حكمته كمرشد روحي ، ورصيده العاطفي ، وحساسيته التي تبرزها كتابته على المستويين التكنيكي والنظامي . وكتابته - أو بالأحرى - ماحفظ منها - رغم ندرته - من ذلك النوع المتميز في قيمته وجودته . وقد ضُمن كتابه الأساسي (كتاب منازل السائرين) أعماله الوعظية التعليمية - Di-dactic عن التصوف . وينقسم هذا الكتاب إلى عشرة أقسام ، وإلى مائة منزل أو مرحلة تمثل المراحل المختلفة في طريق السائرين أو السالكين إلى الله لبلوغ الذروة في التجربة الصوفية التوحيدية .

ولقد كان تأثير شيخ الإسلام الهروي ملحوظاً ، وآية ذلك تلك الشروح العديدة والتعليقات التي قيدت على كتاباته ، ومن الحقائق اللافتة للنظر أن شراح كتبه ينتمون إلى وجهات نظر شديدة التباعد والتباين ؛ فهي تمتد من تلاميذ ابن عربي من صوفية وحدة الوجود ؛ مثل شمس الدين التستري ، إلى ابن قيم الجوزية، ذلك التلميذ العنيف المتهور Impetuous من تلاميذ ابن تيمية ، ويبدو أن تأثير شيخ الإسلام الهروي لا يزال مستمرًا حتى وقتنا الحاضر ، فيمكنك أن تجد طبعات جديدة اليوم لكتاب "منازل السائرين" مع شرح ابن القيم عليه في القاهرة . ولقد أخذ سرج دي بوروكوي على عاتقه مهمة كبيرة تتمثل في تحقيق ودراسة كل جوانب فكر الأنصاري ، وقد ركز في المرحلة الأولى من دراساته على تحقيق الشروح والتعليقات على كتاب (منازل السائرين) ، أو بالأحرى شرحين من بينها ، ثم أتبع ذلك بتحقيق نقدي لنص الكتاب ذاته ، ثم درس حياة الأنصاري في سياقها التاريخي ، وهنالك - أخيراً - أعمال أصغر للشيخ الصوفي ، قيد التحقيق (٤٩) . وكل ذلك يظهر جوانب الاقتدار العلمي في شخصية س. د. بوروكوي .

ولا يمكن لنا إلا أن نغبطه على عمق دراساته ؛ آخذين في الاعتبار أن

محاولته في البحث عن المخطوطات لم تكن يسيرة (حيث وجدت بعض هذه المخطوطات في مكتبات خاصة في أفغانستان لاتزال حتى اليوم مجهولة للباحثين) وقدرته على اكتشاف علاقات بين المخطوطات ، وفوق كل ذلك ، عنايته الفائقة بتحديد استعمال المصطلحات والأفكار الوثيقة الصلة بتجربة الأنصاري الصوفية . وإن أعماله - في الحقيقة - من ذلك النوع الذي يحدث تقدماً في دراسة التصوف، بل ويجعل تفصيل وجهة نظر عامة صحيحة عن التصوف الإسلامي أمراً ممكنًا . وإذا كان سرج دي بوروكوي متخصصاً أساساً في درس الأنصاري ، فإنه يحتفظ بقدرة خاصة على الانتفاع بمعرفته العميقة الراسية عن صوفي واحد ، لتمتد تحقيقاته إلى حقول علمية أخرى مهمة . وإن سلسلة المحاضرات العامة التي ألقاها في تونس - عن بعض الصوفية الكبار ، ووثيقة الصلة بين رسالتهم الصوفية والواقع المعاصر - لاتنسى (٥٠) .

وإن تمكنه من معرفة النصوص الصوفية ، مكّنه - مثل جارديه تماماً - من دراسة مسائل بالغة الدقة في التصوف المقارن . وإنه مع تفضيله للدراسة المنهجية ، قد تكفل بدراسة نظرية منازل السلوك الصوفي إلى الله ، حسبما استنبطه من أعمال الأنصاري وشرحه ، وانتهى إلى صياغة محكمة لوجهة نظر الصوفية في هذه المسألة . ثم سار قدماً نحو مقارنة هذه الأفكار بما يماثلها - من قريب أو بعيد - في المسيحية ؛ و عرض خلال هذا السياق إلى دراسة الأفكار التالية :

- حب الجار L'amour du prochain .

- الرجوع إلى الله والرجاء فيه (٥١) L'esperance et la retour a'Dieu .

ويجد القاري لديه معرفة راسخة بالأصول المذهبية ، واستعمالاً دقيقاً للمصطلحات الفنية ، مع الاهتمام بأصالة الأفكار التي يدرسها ، وهو في كل ذلك يستند علي قاعدة صلبة من الوثائق والنصوص . وفي هذا الحقل الذي تسيطر عليه - غالباً - وجهات النظر المشوشة والسطحية ، فإن دراسات سرج بوروكوي

وجارديه المتميزة تستحق الترحيب الكبير. ولم تصل أعمال سرج دي بوروكوي - في الحقل الذي استأثرت باهتمامه - إلى تمامها بعد ، وحجم الجهد المطلوب لا يزال كبيراً ؛ سواء في التحقيق النقدي لأعمال الأنصاري ، أو تحليل تلك الأعمال ، أو تمحيص قضايا التصوف المقارن . ومع ذلك فإن ما أنجز من عمل ينبيء تماماً بما يمكن أن يكون عليه إنجازاه في المستقبل . وفي رأينا لو أن كل صوفي وجد نفس الاهتمام (الذي وجده الأنصاري الهروي من بوروكوي) فإن تقدماً حاسماً في دراسة التصوف الإسلامي يمكن أن يتحقق .

ويبدو التصوف الإسلامي للباحث المدقق حقلاً دراسياً غير مستهلك ، إذ لا تزال هنالك نصوص عديدة لم تكتشف ، أو لم تحقق ، أو لم تدرس وتحلل بعد ، وكذلك فإن الفحص النظري والاستبطاني للفكر الصوفي لم يزل في بدايته فحسب . وتكشف المحاولات السابقة - كما قد رأينا - عن اختلافات خطيرة في وجهات النظر ، وهي تعكس - بالتالي - فكر المدارس التي ينتمي إليها أولئك الدارسون. وإن مسئولية الباحث - هنا - تكمن في استنباط حكم خاص به ، كما تكمن في فحص صلاحية وجهات النظر المختلفة . وغرضنا في هذا البحث - إلقاء مزيد من الضوء على مظاهر معينة لاتجاهات دراسة التصوف التي رأينا أنها متميزة عن غيرها .

وإن يكن للمرء أن يعبر أخيراً عن رغبته ، فإنها ينبغي أن تتمثل في الاهتمام بسيادة قيم الدقة والتحرير والتمييز ، على مظاهر السهولة والغشائية ، وعلى تلك التلفيقات المصطنعة تعمداً واحتيالاً ؛ وبذلك يمكننا تجنب اللبس وسوء الفهم ؛ ولنأخذ مصطلح (التصوف) ذاته كمثال علي تلك الحالة ، فهو لا يحمل معنى محدداً مشتركاً بين أولئك الذين يتداولونه . إنه عند كل من لويس ماسنيون ولويس جارديه وسرج دي كوروي يشير إلى الصوفية العظام من أصحاب وحدة الشهود في القرون الأربعة أو الخمسة الأولى للهجرة. في الوقت الذي يرفض فيه هنري كوربان وبركهارت أن تكون هذه الرموز المبكرة صوفية أصلاً !! ، ويؤرخان " لبداية التصوف من ابن عربي فصاعداً (٥٢) ، أما بالنسبة للمسلمين المعاصرين

فإن المصطلح (تصوف) يثير قيمة أقل مما يثيره لدى الجماعات الصوفية التي تعتبر في نظرهم مسئولة عن انحطاط الإسلام ، واضمحلال اتجاهه المتحجر - في المحافظة - على التقاليد الأولى (٥٣) .

إن ذلك وحده يمكن أن يكون كافياً لتفسير تعدد وجهات النظر في تقويم التصوف الإسلامي ، وإنه لأمر مهم أن نعي ذلك ، وأن نكون على ذكر به .

الهوامش

- ١- كتب R. Casper هذه البحث القيم باللغة الفرنسية بعنوان :
 "La Mystique Musulmane; recherches et tendances" 1962
 ثم ترجمها إلى اللغة الإنجليزية Marlin L. Swartz بعنوان :
 "Muslim Mysticism Tendencies in Reserch" Oxford Univ. Press, 1981.
 ونشره في كتاب : "Studies on Islam" وهو الذي ترجمنا هنا ، ويضم هذا الكتاب بحوثا مهمة
 لجماعة من كبار المستشرقين مثل : اجناس جولد زهر ، ومكسيم رودنسون ، ويوهانفوك ، ولويس
 ماسنيون ، وجوزيف هايننجر ، وجورج مقدس ، وهذا المقال الذي نقلناه إلى العربية .
- ٢- انظر مقدمة الدكتور أبو العلا عفيفي لترجمة مجموعة بحوث لأستاذة المستشرق المعروف رينولد
 نيكلسون ، طبعة مصورة عن نشرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ م " وأول كتاب في التصوف
 ظهر في أوروبا هو كتاب "F. R. D. Tholuck " بعنوان :
 " Sufismus Sive Theologia Persica Pantheistica "
- ٣- مثل : ثولك ، والفرد فون كرير ، ودوزي ، ومرجليوث ، وجولدزهر ، وادوارد جرانثل بروان ،
 وماكس هورتن ، ومركس ، وريتشارد هارتمان ، وماكدونالد ، وكاراديفو ، وأسين بلاسيوس ، ولويس
 ماسنيون ، ونيكلسون ، ومرجريت سميث ، وهنري كوربان ، وتيتوس بركهارت ، ووليم ستودارت ،
 وجب ، ومارتن لنجر ، وجوليان بالديك ، ولويس جارديه ، وسرج دي بوروكوي ، إلى آخر هؤلاء . على
 تفاوت فيما بينهم في درجة الاهتمام به أو الانقطاع التام له .
- ٤- انظر المبحث الخاص بدراسة مصادر التصوف في كتابنا هذا عن التصوف .
- ٥- قارن مقدمة الدكتور أبو العلا عفيفي لكتاب (في التصوف الإسلامي وتاريخه) لنيكلسون .
- ٦- انظر كتابه : " شخصيات قلقة في الإسلام " وهو عبارة عن بحوث ترجمها لكل من لويس ماسنيون
 وهنري كوربان عن الحلاج المصلوب والسهورودي المقتول .
- ٧- للتوسع في فهم هذه الطرائق انظر :
 Dictionary of Philosophy , by Peter A. Angeles, USA, 1981
- ٨- بدأ الباحثون المسلمون يهتمون بدراسة التصوف مع مطلع القرن العشرين ؛ سواء في مصر والعالم
 العربي أو في شبه القارة الهندية الباكستانية مثل الأساتذة الدكتور محمد مصطفى حلمي ، والدكتور أبو
 العلا عفيفي ، والدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور أبو الوفا التفتازاني ، والدكتور عثمان يحيى ،

والدكتور كمال جعفر ، وسيد حسين نصر ، والدكتور مصطفى الشبيبي والشاعر الفيلسوف محمد إقبال ، وظهر الدين أحمد ، ومحمد عبدالحق أنصاري وغيرهم كثيرون ممن تخصصوا في حقل الدراسات الصوفية وأسهبوا في تطوير البحث في هذا المجال إسهامات يعرفها المهتمون .

٩- مقدمة ترجمته لبحوث نيكلسون (في التصوف الإسلامي وتاريخه) ص ل ... ولئن كانت دراسة التصوف ذات أهمية خاصة في حقل (مقارنة الأديان) فلا أعرف لما ذا لم يوجّه أساتذة الإسلاميات في الجامعات الغربية طالباً واحداً من الطلاب العرب ، منذ أن بدأت البعثات الدراسية تهرع إلى الجامعات الغربية وإلى اليوم ، فيما أعلم ، لدراسة (مقارنة الأديان) أو (تاريخ الأديان المقارن) .. وحسب علمي فإن طالباً واحداً من بلادنا لم يحصل على درجة علمية من الجامعات الغربية في حقل (مقارنة الأديان) حتى اليوم ، رغم كثرة الأقسام العلمية التي ترعى هذا التخصص ، وانتشارها في جامعات أوروبا وأمريكا . إنها ظاهرة تستحق الرصد والتأمل على كل حال .

١٠- سوف نستعمل في هذا البحث بلامتياز مصطلحي (Muslim Mysticism) و (Sufism) والكلمة الثانية استخدمها المستشرقون الإنجليز كمساوٍ للكلمة العربية (تصوف) .

١١- نشر في مصر وحدها عدد كبير من مصادر التصوف خلال ستة أعوام فقط ، وقد أعد قنواطي Anawati فهرساً لهذه النصوص ونشره في ستة أعداد من مجلة أمشاج (Met Langes) التي يصدرها معهد الدومنيكان للدراسات الشرقية في القاهرة MIDEO .

١٢- " ولقد كان ماسينيون في الواقع ذا تأثير كبير عميق على الدراسات الإسلامية في فرنسا ، بل وعلى تشكيل نظرة الغرب إلى الإسلام ، ولقد كان المستشرق الوحيد الذي مثّل رمزاً للاستشراق في عصره ... ولقد كانت له اتصالات سيئة السمعة بالسلطات الاستعمارية ... وقد اعتقل في بغداد سنة ١٩٠٨ بتهمة التجسس كما يحكي هو عن نفسه وقد حاول الانتحار في السجن " .

-Albert Horani, Islam in European Thought, pp 43 - 48

-Edward Said, Orientalism, pp. 146 - 221

وقد كتب الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بدوي فصلاً ممتازاً بعنوان (لويس ماسينيون : حياته وأبعائه) في صدر كتابه : (شخصيات قلقة في الإسلام) وقد كانت تربطه علاقة شخصية بـماسينيون ... وقد ذكر في هذا الفصل معلومات جيدة عنه منها : أن كتاب ماسينيون (عذاب الحلاج شهيد التصوف في الإسلام) -موضوع رسالته الرئيسية للدكتوراه- اعتبر حدثاً ضخماً في تاريخ دراسة التصوف الإسلامي ، وتاريخ الدراسات الإسلامية بعامة . فهي دراسة حافلة لكل التيارات الصوفية والكلامية والفلسفية والدينية

التي أثرت ومهدت لظهوره ... ومن هنا كانت كنزاً زاخراً بمعلومات مفيدة جداً و آراء سديدة أصيلة في نواح عديدة من الحياة الروحية والدينية والعقلية في الإسلام ، وإنها لشاهد ضخم يكفى وحده لتخليد ماسنيون في عالم البحث العلمي والتاريخي .

ويؤكد الدكتور عبدالرحمن بدوي أمرين يتعلقان بماسنيون ، هما : أنه أصبح منذ سنة ١٩١٩ تحت تصرف وزارة الخارجية الفرنسية في مكتب المندوب السامي الفرنسي في سوريا وفلسطين وقليلة ، كما أنه قد كان مع الجيش الذي دخل القدس سنة ١٩١٧ تحت قيادة اللنبي Allenby .

- وقد كانت النزعة الكاثوليكية دفينية في أعماقه تحركه في بحوثه ، وإن إعجابه بالتصوف الإسلامي قد عمق في نفسه - كما حدث بالنسبة لبعض الكتاب الفرنسيين الكاثوليك - نزوعه الكاثوليكي ، وقد ركز في دراساته على الشخصيات القلقة والمذاهب المغالية في الإسلام وإبراز مصادرها ونصوصها ومبادئها ومقابلة الباقيين من أتباعها ، لكنه إلى ذلك قد كتب رسالته الثانية للدكتوراه بعنوان (بحث في نشأة المصطلح الفني في التصوف الإسلامي) وترجع أهمية هذا الكتاب إلى مناقشته للنظريات التي ترجع نشأة التصوف الإسلامي إلى مصادر أجنبية عن الإسلام .

وإن كان كاتب البحث R. Casper قد عرف بأعمال لويس ماسنيون وجهوده في حقل التصوف الإسلامي التي تركزت على الحلاج بشكل خاص ، فإنه قد أهمل الإشارة إلى جهود المستشرق الإنجليزي المعاصر لماسنيون ، أعنى : رينولد نيكلسون ، لذلك يحق علينا أن نشير في هذا المقام إلى جهوده حتى يستقيم الميزان .

لقد أخذ نيكلسون نفسه - في جد ومثابرة وجلد - بتحقيق المصادر الصوفية الأساسية ونشرها ، وترجمة بعضها إلى اللغة الإنجليزية ، هذا فضلاً عن نشر البحوث والمقالات العلمية الرائدة عن التصوف الإسلامي وأهم قضاياها وشيوخه . وقد حقق ونشر وترجم من العربية والفارسية إلى الإنجليزية المصادر المهمة التالية،

اللمع للسراج الطوسي . - وكشف المحجوب للهجويري الجلابي .

- وتذكرة الأولياء لفريد الدين العطار . - وترجمان الأشواق لابن عربي .

- وديوان جلال الدين الرومي . - وبعض قصائد ابن الفارض .

- وقصائد صوفية لمحمد إقبال . وغير ذلك .

أما بحوثه فقد كانت خصبة وثرية ومتابعة ، مثل :

صوفية الإسلام ، وقد ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ نورالدين شريعة ، ونشرته مكتبة الخانجي بمصر

١٩٥١ م - دراسات في التصوف الإسلامي ، ويشتمل على فصول مهمة تناول فيها حياة أبي سعيد بن أبي الخير ، والإتسان الكامل للجيلي مع نص عينيته ، وقصائد لعمر بن الفارض ، مع ملحق ببعض الملاحظات على نصوص الحكم لابن عربي ، وهذه الفصول هي :

-Abu Said Ibn Abi L-Khair. - Some Notes on the Fususu'l hikam.

- The Perfect Man. - The Odes of IBnul Farid.

وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٢١ م ثم أعيد نشره مرات بعد ذلك ، والنسخة التي بين يدي طبعة ١٩٨٠م ولم يترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية فيما أعلم .
ثم ترجم له تلميذه الدكتور أبو العلا عفيفي خمسة بحوث مهمة ومحاضرات كان نيكلسون قد نشرها في المجلات العلمية وهي :

1. Ascetism, Ency of Religion and Ethics, 1909, 2nd,ed, 1930 .

3. Sufis, Ency 'of Religion and Ethics, 1921-1934 .

4. The Goal of Muhammadan Mysticism, 1913 .

5. The Idea of Personality in Sufism, 1923.

وبعد الترجمة الدكتور أبو العلا والأستاذ شريفة لطائفة مهمة من أعمال نيكلسون أصبحت أفكاره معروفة وذائعة بين الباحثين العرب ، أما لويس ماسنيون فإنه لم يترجم من جهوده في حقل الاستشراق حسب علمي سوى مقالات قليلة جداً ترجمها الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بدوي ونشرها ضمن كتابه (شخصيات قلقة في الإسلام) نشرة وكالة المطبوعات بالكويت ط. ٣ ، ١٩٧٨ م ، كما نشر له في مصر المعهد الفرنسي مجموعة محاضرات بعنوان "المصطلح الفلسفي عند العرب" بتحقيق الدكتورة زينب الخضير ، وقدم لها الدكتور إبراهيم مذكور . [هتوجم]

١٣- وضعت جامعة باريس - من جانبها - في برنامج الدراسي بقسم الدراسات العربية والإسلامية عدداً من النصوص الصوفية الرئيسية مثل : كتاب الرعاية للمحاسبي ، وقوت القلوب لأبي طالب المكي . وكتاب أدب الدنيا والدين للماوردي .

١٤- دعنا نذكر من الأعمال المتميزة كتابات أبو العلا عفيفي عن ابن عربي ، ومن الأعمال الأقل قيمة تلك التي كتبها عبدالحليم محمود عن المحاسبي ، وزكي مبارك عن التصوف .

١٥- درج أكثر الكتاب الغربيين على وصف الإسلام بمثل هذه الأوصاف ، فيقولون مثلاً : (الإسلام المعاصر) (الإسلام الكلاسيكي) (الإسلام الشرقي) (الإسلام الغربي) (الإسلام السني) (الإسلام

(الشيعة) (الإسلام الحنبلي) (الإسلام الصوفي) (الإسلام الهندي) (الإسلام التركي) (الإسلام العربي) (الإسلام الأفريقي) (الإسلام الآسيوي) إلخ هذه الأوصاف التي قد تثير في نفس القاريء شعور التعدد ، فضلاً عن التمزق والتشردم والتقطع . [هتوجم] .

١٦- وآخر هذه الأعمال كتاب (R. Khawam) بعنوان :

(Propos d'amour des mystiques musulmanes - Paris 1960)

فالنصوص في هذا الكتاب وافرة ، لكنها لا تمثل الاتجاهات المدروسة قمثيلاً متوازناً ، فلم يذكر شيء قط عن الحلاج ، في الوقت الذي زخر فيه الكتاب بنصوص لصوفية عديدين أقل منه شأنًا ، ومع ازدياد مجموعة النصوص المترجمة أصبح استخدام المصطلحات المسيحية مثل (النعمة grace) و (الاحسان Charity) ممكناً . وينبغي أن نذكر من بين هذه الدراسات السطحية أعمال E.Dermengham التي هي بمثابة تهذيب للنوادر والخرافات مع إجراء مقارنات سطحية بين مختلف المتصوفة ، بطريقة تلفيقية Syncretistic - مما يحط من شأنها في المحيط العلمي . وهناك استثناء واحد هو كتاب (تقديس الأولياء في المغرب الإسلامي Le Culte des saints dan L'Islam Maghrebin, Paris 1954) حيث ينطوي على قيمة اثولوجية وفلكلورية .

١٧- منذ أن نشر R. Casper هذا البحث سنة ١٩٦٢ م وحتى اليوم نشرت نصوص كثيرة جداً في البلدان الإسلامية والغربية للعديد من رجالات الصوفية المتقدمين والمتأخرين على السواء . [هتوجم] ١٨- المؤلفون الذين درسناهم هنا قد اختيروا من بين مؤلفين آخرين مهمين ، وينبغي للمرء أن يذكر من بين أولئك الباحثين الذي كتبوا بلغات غير الفرنسية : H. Ritter في كتابه

Dos Meer des Seele, Lieden, 1955 وقد كرس هذا العمل لدراسة فريد الدين

الطار ، وكذلك أعمال Fritz Meier ، وعلى الرغم من أن إسهامه في :

Symposium de Bordeaux in Classisme et declin Cultural dans l'histoire de l'Islam, Pans, 1954

حيث ناقش العلاقة بين التصوف والانحطاط الثقافي وقد جاء مناقضا لعمل Arberry الصغير الذي تميز بالنظرة الثاقبة إلى التصوف . ومع ذلك فإن هؤلاء المؤلفين وآخرين غيرهم لم يمثلوا اتجاها متميزاً في البحث العلمي ، مثل أولئك الذين وقع اختيارنا عليهم .

هذا رأى R. Casper ، لكننا نرى أن هنالك مؤلفين أولى بالدراسة من بعض هؤلاء الذين وقع الاختيار عليهم ؛ مثل Arberry و A. Schimmel - [المترجم] .

١٩- الغنوص (Gnosis) أو العرفان ، أو المعرفة الاشرافية الذوقية التي تلقى إلى النفس إلقاءً مصطلح كان الأستاذ بلوشيه قد أطلقه على كل التيارات والمذاهب الباطنية في الإسلام . ومن جانبنا

فإننا سنسوي بين الكلمتين (غنوص) و (عرفان سري) . [هتوجم]

٢٠- استخدم R. Casper (EasternIslam) أي (الإسلام الشرقي) جرياً على عادة المستشرقين

التي أشرت إليها آنفاً ، لكنني ترجمتها هنا بـ (المشرق الإسلامي) . [هتوجم]

٢١- صرف هنري كوربان معظم جهده لبحث شخصية قلقة هي السهروردي المقتول ، كما بذل من قبل ماسينيون معظم وقته لبحث الحلاج المصلوب ، لكن كوربان درس السهروردي المقتول وكذلك الاتجاه الصوفي الشيعي الفارسي المتأثر بالزرادشتية الفارسية . وقد ترجم الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بدوي بحثه عن السهروردي بعنوان : (السهروردي الحلبي مؤسس المذهب الإشرافي ، باريس ١٩٣٩ م) كما ترجم مقدمة كوربان ويول كراوس لرسالة السهروردي المسماة (رسالة أصوات أجنحة جبرائيل) إلى العربية ، ونشرهما في كتابه (شخصيات قلقة في الإسلام) . وقد كتب كوربان فصلاً عن السهروردي في كتابه (تاريخ الفلسفة الإسلامية) وترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية نصير مروه ، وحسن قبيسي ، وقدم له موسى الصدر وعارف تامر . [هتوجم]

٢٢- من هذا البحوث تلك الكتب التي نشرها وقدم لها وعلق عليها ومن بينها :

ثلاث رسائل اسماعيلية : للسجستاني وللوليد وللشسترني - جامع الحكمتين لناصر خسرو .

- حكمة الإشراف للسهروردي . - قصيدة فلسفية لأبي الهيثم الجرجاني .

- كتاب المطارحات للسهروردي ، وكتاب التلوينات له -

- كشف المحجوب لأبي يعقوب السجستاني .. وله مقالات كثيرة أخرى متفرقة . [هتوجم]

٢٣- يجزم هنري كوربان بأن تأثير الزرادشتية والحسروانية أو الساسانية القديمة على السهروردي من ناحية ، وعلى التصوف الشيعي الإيراني جملة ، من ناحية أخرى ، كان حاسماً وقد اعترف السهروردي نفسه بهذا الأثر عليه (انظر ص ٤٦٥ من كتاب قراءات في الفلسفة ، للأستاذين الدكتور علي سامي التشار ، والدكتور محمد علي أبو ريان ، ط. ١ ، ١٩٦٧ م)

وأول من درس " الفلسفة الإشرافية " من الباحثين العرب - فيما نعلم - الدكتور أبو ريان في رسالته للدكتوراة بالسريون وانتهى إلى نتائج مخالفة لما يراه هنري كوربان ، يقول الدكتور أبو ريان : ... إن كوربان يرجع المذهب الإشرافي إلى أصول فارسية قديمة . وقد عكفنا على دراسة المذهب ، وأمكن لنا أن نعرض هذا الاتجاه ؛ حيث أثبتنا الأصل اليوناني الأفلاطوني لمذهب الإشراف ، وذلك في رسالتنا : بعنوان

(انتقال نظرية المثل الأفلاطونية إلى المدرسة الإشراقية ، ويذكر في ص ٨٣١ : يعتبر المذهب الإشراقي في جملته مذهباً أفلاطونياً حمل في جوانبه ما اشتملت عليه التيارات الفلسفية الإسلامية السابقة عليه ، فتأثر بنظرية الفيض المشائية ومواقف ابن سينا وعلى الأخص في الاشارات .) وقد نشر الدكتور أبو ريان دراسة بعنوان : (أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي) ونشر بحثاً بعنوان (نظرية الإمامة بين الباطنية والسهروردي) مجلة الثقافة ٦ ، ٧ / ١٩٥٢ م ، وكذلك (هياكل النور) و (اللمحات في الحقائق) و (الألواح العبادية) للسهروردي .

ونذكر هنا أن هنري كوربان لم يكن أول من قال بالمصدر الزرادشتي الفارسي القديم للتصوف ، لكن سبقه إلى هذا الحكم المستشرق الهولندي (دوزي) . [هتوجم]

٢٤- " الاشعاعات السماوية الإلهية هي مصادر نور المجد ، أو نور العزة ، وسلطة النور الذي كان مظهره أو معلنه أو المنادى به ، زرادشت " نص السهروردي اقتبسه كوربان في مقدمة كتابه : الأعمال الفلسفية والصوفية للسهروردي (

Oeuvres Philosophiques et mystiques de Suhrawardi, P.34

٢٥- كوربان : Terre celeste et Corps de resdrrection, de L'Iran Mazdeen : a'L'Iran Shi'ite, Paris,1960, 418 pages.

٢٦- ناصر خسرو : جامع الحكميتين : Harmonie de La Philosophie greaque et de La theosophie Ismaelinne,

حققه هنري كوربان وم. معين (باريس وطهران ١٩٣٩م) . وتلاه بتحقيق نصوص إسماعيلية أخرى مثل : كشف المحجوب لأبي يعقوب السجستاني ، وشرح قصيدة إسماعيلية للجرجاني أبي الهيثم ١٩٥٥م . وقد وعد بتحقيق نصوص إسماعيلية أخرى .

٢٧- كوربان : الخيال الخالق في تصوف محي الدين بن عربي ، باريس ١٩٥٨م ، ٢٨٥ صفحة . وقد ترجمه R. Menhlein إلى اللغة الإنجليزية ، ونشرته جامعة برنستون في أمريكا سنة ١٩٦٩م . وهذا الكتاب أساسي لفهم الأفكار الرئيسية في تفكير كوربان ، بدءاً من انشغاله بأعمال ابن عربي .

٢٨- (حي بن يقظان) لابن سينا ، ترجمها هنري كوربان من العربية ومن التعليق الفارسي عليها إلى الفرنسية وقدم لها وعلق عليها ، ونشرها في طهران ١٩٥٣م . في ختام قصته يقول ابن سينا على لسان حي بن يقظان :

" والآن ، إذا رغبت فاتبعني ، تعال معي إليه " . وهكذا فإنه قد دعا تلميذه ليخرج معه قاصداً مشرق

الأثوار The Orient of Lights . ولقد استعجاب السهروردي للنداء وتبع الخطه ، وتجاوز ماقد بلغه ابن سينا ، وقد وصف رحلته هذه في قصته (الغربة الغربية) نشرها كوريان في (أعمال السهروردي) المشار إليه من قبل . (والتي نشرها الدكتور أبو ريان في " قراءات فلسفية " ، والدكتور عبدالرحمن بدوي في " شخصيات قلقة ") - [هتوچم]

٢٩- ليس من غرضنا في هذه الحاشية أن نقدم شرحاً (الحكمة الإشراق) السهروردية ، فمن يريد التوسع في فهمها فليرجع إلى كتابات السهروردي نفسه وهي كثيرة ومحقة ومنشورة بعناية هنري كوريان والدكتور أبوريان ، أو فليرجع إلى كتب شراح السهروردي وتلاميذه المشار إليها فيما مضى ، وهناك البحوث المستفيضة التي كتبها كل من الدكتور أبوريان وهنري كوريان عن فلسفة الإشراق عند السهروردي سواء أكانت دراسات مستقلة قائمة برأسها ، أو مداخل إلى النصوص المحقة .

لكن ما أود أن أشير إليه هنا أنني - ومن خلال تأمل نصوص السهروردي نفسه ، وتخريجات شراحه وتلاميذه - أرى أن كوريان قد بالغ إذ جعل فلسفة الإشراق قائمة أساساً على الزرادشتية الفارسية وحدها ، وكذلك فصل الدكتور أبو ريان في رأيه الذي يذهب فيه إلى أن السهروردي قد بنى حكمته المشرقية على الأفلاطونية الهلينية وحدها .. وما أراه هو أن السهروردي قد مزج بين الزرادشتية والأفلاطونية في نظرية تليفقية مبتدعة ، لم يحرص حتى على لباسها غطاءً إسلامياً ، فهو يقول عن نفسه : " كان في الفرس أمة يهدون بالحق ، وبه كانوا يقولون ، حكماء فضلاء غير مشبهة المجوس ، قد أحيينا حكمتهم النورية الشريفة التي يشهد بها ذوق أفلاطون وَمَنْ قبله ، في الكتاب المسمى بحكمة الإشراق ، وما سُبقت إلى مثله " (رسالة كلمات التصوف ٢٠٧٢) وقد رد السهروردي نفسه على الرأي القائل بأن ابن سينا قد سبق إلى الفلسفة الإشراقية ، بأن ابن سينا لم يذكر الأصل الخسرواني أي الفارسي القديم الذي هو مصدر الحكمة الإشراقية في نظر السهروردي وبأنه لو كان هذا صحيحاً - أي أنه حكيم إشراقي - لتضوع ربحها أي ربح الحكمة المشرقية (قراءات في الفلسفة ص ٤٦٥) .

وتلاميذ السهروردي يؤكدون دور شيخهم في بعث وإحياء رسوم الفرس القديمة ، يقول ملا صدرا الشيرازي عن السهروردي ، شيخ أتباع المشرقيين والمحيي رسوم الفرس في قواعد النور والظلمة " (كتاب الأسفار الأربعة ، طبعة طهران ١٢٨٢ ص ٥٨٣) .

وكذلك فإن السهروردي وخلفاءه يتحدثون عن أفلاطون بنفس الروح التي يتحدثونها عن أثر الفرس عليهم يقول السهروردي في " المطارحات " نشرة كوريان : " إمام أهل الحكمة رئيسنا أفلاطون " ويقول أيضاً " الإشراقيون رئيسهم أفلاطون ، والمشائيون رئيسهم أرسطو " ويجمع بين زرادشت وأفلاطون في نص واحد

من كتابه (حكمة الإشراق) يشرح فيه تحوله من المشائية إلى الاشراقية بعد حادث ذهولي رأي فيه كثرة الكائنات النورانية التي كان يتأملها هرمس وأفلاطون ، وهذه الأضواء المينوية يتنابع (الخُرَّة) والرأي (عظمة النور وسلطانة) التي أخبر عنها زرادشت ، " ومن لم يصدق بهذا ... فعليه بالرياضيات ... فمضى أن يقع له خطفة ، يرى النور الساطع في عالم المجبروت ، ويرى الذوات المملوكة ، والأنوار التي شاهدها هرمس وأفلاطون ، والأضواء المينوية يتنابع (الخُرَّة) والرأي ، التي ، أخبر عنها زرادشت ، ووقع الملك الصديق كخسرو المبارك إليها فشاهدها " (حكمة الإشراق : ص ١٥٧) ويحكي السهروردي عن نفسه فيقول : " قد ألقاه (هذا الكلام) النافث القدسي في روعي - في يوم عجيب - دفعة ، وإن كانت كتابته ما اتفقت إلا في عدة شهر " ص ٢٥٩ .

أما هنري كوربان فيرى أن اعتراف السهروردي الذهولي هذا يرجع إلى واحد من المباديء الأساسية في الزرادشتية : Xvarnah و (خُرَّة) أو (كيان خُرَّة) Xvarnah Kaveam بالفارسية ، معناه : نور العزة ، يقول زرادشت : (خُرَّة) : نور يسطع من ذات الله تعالى وبه يرأس الخلق بعضهم على بعض ويمكن كل واحد من عمل أو صناعة بمعرفته ، وما يخص للملوك الأفاضل منهم يسمى : كيان خُرَّة . (نشرة كوربان لكتاب حكمة الإشراق ص ١٥٧ ، ٣٣٤ ، وكتاب تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٣٠٩) والمقصود " بالفلسفة الإشراقية " كما يشرحها قطب الدين الشيرازي أحد تلاميذ السهروردي بقوله " حكمة الإشراق أي : الحكمة المؤسسة على الإشراق الذي هو الكشف ، أو حكمة المشاركة ، الذين هم أهل فارس ، وهو أيضا يرجع إلى الأول : لأن حكمتهم كشفية ذوقية نسبت إلى الإشراق الذي هو : ظهور الأنوار العقلية ولعائها وفيضانها بالإشراقات على النفس عند تجردها . وكان اعتماد الفارسيين في الحكمة على البحث والبرهان لاغير " (شرح الشيرازي على حكمة الإشراق ، مطبوع على هامش الكتاب نفسه) .

أما المذهب الإشراقي للسهروردي فنقدم عنه لمحة مركزة من (قراءات فلسفية ص ٨٣١ / ٣٢) : " يدور المذهب حول فكرة الإشراق ؛ فالأول أو نور الأنوار يفيض عنه النور الابداعي الأول ، وعن هذا الصادر الأول ، وعن هذا الصادر الأول تصدر أنوار طويلة يسميها : القواهر العالية . ثم تصدر عن هذه القواهر العالية أنوار عرضية يسميها : أرباب الأنواع . وهي أنوار تدبر شئون الأنواع الموجودة في العالم الحسي والعالم العقلي أسماءه : عالم البرزخ أو عالم المثل المعلقة ، ويبدو أن الوضع الأنطولوجي لهذا العالم الأوسط هو نفس وضع المثل الرياضية المتوسطة عند أفلاطون .

وللتوسع انظر للسهروردي : مجموع يتكون من ثلاث رسائل هي : " الألواح العصادية " ، كلمة

التصوف" و "المعاني" ، بتحقيق نجف حبيبي ، (مع مقدمة فارسية والإنجليزية) نشر في لاهور سنة ١٩٨٤م .

وإذا كان المشاؤون قد جعلوا العقول عشرة ، فإن السهروردي يجعل الأنوار في أعداد لاحصر لها ... ويظهر أن تخطيط الوجود النوراني عند السهروردي سيصل إلى أن يصبح العالم كتلة من الأنوار .. وإن تفصيل الفيوضات الإشراقية عند السهروردي وتقسيمها إلى مراحل إنما وضع لغاية صوفية ، حيث إن إيضاح المراحل على هذا النحو إنما يفتح الطريق أمام الواصل لكي ينتقل من مرحلة إلى أخرى تدريجياً حتى يصل إلى جوار الحق أو نور الأنوار ... وأخيراً فإن مذهب السهروردي لابد أن ينتهي إلى واحدة وجودية نورانية ، تلتقي فيها وحدة الوجود مع وحدة الشهود "

وأما عن حياة السهروردي الذي قتل شاباً في الثامنة والثلاثين من عمره في حلب فيرجع فيها إلى الإشارات العديدة التي ذكرها في كتبه ورسائله عن نفسه ، ثم إلى شارحه الشهرزوري المتوفى سنة ٦٤٨هـ في كتابه (نزهة الأرواح وروضة الأفراح) ويرجع إلى الفصل الذي كتبه عنه هنري كوريان في كتابه (تاريخ الفلسفة الإسلامية) ص ٣٠٣ - ٣٢٩ بعنوان : (السهروردي وفلسفة النور) منشورات عويدات ، بيروت وباريس ط ٣ ، ١٩٨٣ م ، والفصول التي كتبها هنري كوريان وبول كراوس وترجمها الدكتور عبدالرحمن بدوي وإلى الفصول التي كتبها الدكتور أبوريان عن حياته في دراساته العديدة عن الفلسفة الإشراقية ، وكذلك ما كتبه كل من S.K. Khatak , O. Spies (Three Treatiseses on Mysticism) وما كتبه الألماني H. Ritter عن وصف وتحليل مخطوطات السهروردي الموجودة في اسطنبول. ويرجع إلى المقالة التي كتبها سيد حسين نصر (بالإنجليزية) في موسوعة (A. History of Muslim Philosophy) التي أشرف على تحريرها عالم الباكستان الكبير محمد شريف ، ونشرت في مجلدين كبيرين في ألمانيا (١٩٦٣) ج ١ ص ٣٧٢ وما بعدها ، ويضع سيد حسين نصر رسماً تخطيطياً للمصادر التي استقى منها السهروردي كما يلي :

هرمس

أغيثودمون (شيث)

اسكليبيوس

فيثاغورث

أصبقوليس

أفلاطون

الماوك - الكهان الفرس

كيومارز

فريديون

كي خسرو

أبو يزيد البسطامي

منصور الحلاج

أبو الحسن الخاقاني

أفلاطونيين الجدد

ذوالنون النسري

يحيى بن سهل التستري

السهروودي

ويستدعى سيد حسن نصر الانتباه إلى نقطة جديرة بالتأمل ؛ وهي تساؤلُه عن حكمة السهروودي الإشراقية ، هل كانت من قبيل مخاصمة الإسلام وردة الفعل ضده ، وهل كان له تأثير فيما بعد على الحركة المناهضة للإسلام التي عرفت باسم Azar Kaiwan ، التي ظهرت في القرن العاشر الهجري ، وهي أمشاج من المبادئ الهندوسية والبوذية والزرادشتية والإسلام في صورة ديانة تلفيقية مبتدعة ، وقد تركت هذه الحركة كتباً منها (دابستان المذاهب ، وداستير) . وما يذكر هنا أن تلك الحركة التلفيقية التي ظهرت في بلاط أكبر المغولي تشبه هذه الحركة المناهضة ، وقد أظهر أتباع حركة أكبر اهتماماً كبيراً بمؤلفات السهروودي الإشراقية (ص ٣٩٧) .

وقد استطاع المتصوف المصلح السرهندي اقناع الأباطور المغولي " أكبر " بالعدول عن هذه الحركة . (انظر ما كتبه الأستاذ محمد عرفان عن الشيخ أحمد السرهندي ، في موسوعة تاريخ الفلسفة الإسلامية بالإنجليزية ، ج ٢ ص ٨٧٣) وانظر كتاب (Fredmann) عن الشيخ أحمد السرهندي ، نشر مطبعة جامعة ماكل كوين ١٩٧١م .

وهناك مسألة وثيقة الصلة بما نحن بصده هنا وهي أن زرادشت الفارسي كان مستولاً عن التداخل الديني بين اليونان وإيران ، وهو التداخل المميز للمهد المتأخرين من العصور القديمة ، ونحن نعلم الآن كان في زمان أفلاطون صلات حضارية مستمرة بين أثينا والأوساط الفارسية في آسيا الصغرى .. وقد ينظر إلى أفلاطون على أنه استمرار لزرادشت (كوربان : السهروودي المقتول مؤسس المذهب الإشراقي ، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي ، ص ١٠٢ من شخصيات قلقة) وانظر أيضاً دراسة " رايسنشتين " : " أفلاطون وزرادشت " ، ليتسج ١٩٢٧م - عن كوربان

أما عن زرادشت والزرادشتية فيمكن الرجوع إلى الكتب التالية :

-Lewis Hopfe, Religions of the World, New York-London, 1987

- S. Radha Krishnan, Eastern Religions and Western Thought,

Oxford-London, 1940

-George Rawlinson, The Religions of the Ancient World, New Delhi 1980

-An Encyclopedia of Religions, New York, 1921

-Encyclopaedia of Religions and Ethics, Edinburgh, 1959

-The Heritage of world civilizations, New York, 1986

وأختم هذه الحاشية بعبارة لهنري كوربان يذكر فيها خاتمة السهروردي المقتول بقوله : " وما كان لشيء أن يخلصه من نعمة ذلك الشخص المتعصب الذي هو صلاح الدين الأيوبي ، حتى ولا صداقة حاكم حلب ابن صلاح الدين الملك الظاهر الذي أصبح فيما بعد صديقاً حميماً لابن عربي " (ص ٣٠٤ تاريخ الفلسفة الإسلامية)

وتأمل الوصف الذي يطلقه المستشرق هنري كوربان على صلاح الدين الأيوبي الذي كان التسامح من أخص صفاته كما هو معروف ... لكنه الهوى والشنآن !! " ولتعرفنهم في لحن القول وما تخفى صدورهم أكبر " [هتوجم]

٣٠- نشير إلى تلك الأعمال المتميزة عن الإسماعيلية التي كتبها W. Ivanov ، وتلك التي كتبها ابن عربي أسين بلاسيوس وأبو العلا عفيفي .

٣١- أنظر بحثاً عن مدرسة شيخي ونصوصها في (Terre Celeste) من ص ١٨٣ - ١٨٧ ومن ص ٢٨١ - ٤٠١ ، وقد وجدت هذا المدرسة في إيران في نهاية القرن الثامن عشر ، كورث للعرفان الشيعي ، ويمثلها في أيامنا هذه جماعة المشاهدة أو العرفانية في إيران .

٣٢- انظر " الخيال الخالق " ص ٢٨-٩٣ ، والتعليقات ٦٣ ، ٦٧ ، ٢١٢ ، عندما يتحدث المؤلف ضد (الوحدة الوجودية) (الترجمة الإنجليزية ص ١٠٦ - ١٢٢ ، والحواشي ٦٥ ، ٦٨ ، ٣٥٦) وعن وحدة الجوهر انظر ص ٨٢ ، ١٤٨ ، ١٨٥ - ١٨٦ ومن الترجمة الإنجليزية ص ١٠٦ ، ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٧٤ - ٢٧٨ .

٣٣- ونقدم فيما يلي مثالا على غموض الأفكار حتى عند استخدام نفس المصطلح . لقد أثار لويس جاردييه مسألة : الرؤى الفكرية الزرادشتية في فكر السهروردي متسائلاً : هل تشكل هذه التصورات الزرادشتية مفتاح فكر السهروردي ، أو أنه ، بتعبير أكثر تحديداً - تشكل من أصول إسلامية متمزجة بالأفلاطونية والفيثاغورية ، وكان تأثير الزرادشتية بمثابة إحياء أو إلهام الأساطير المتميزة ؟ (الفكر الديني عند ابن سينا ، باريس ١٩٥١ ، ص ١٩١) بينما يرى كوربان أن المسألة قد وضعت على أساس

مصطلحات غير دقيقة ، ويفهم كلمة Motifs معنى Motives بمعنى mobiles ، كما في قوله أفكار باعثة ومحركة (الأعمال الفلسفية ص ٢١) ومن الواضح أن جاردية يستخدم مصطلح Motifs بمعنى الأفكار الرئيسية ، أو أنظمة الفكر .

٣٤- وبخاصة لأن النصوص التي جمعها كوربان لتأييد وجودية المثال هذه Ontology of Image ليست مقنعة تماماً ، ولو أن السهروردي ، وابن عربي ، والقشيري ، ومدرسة شيخه يحذون القول بوجودية المثال ، فإن اللهيجين ، وملاً صدرا بشكل خاص يشرحون ظاهرة المعرفة عبر هذا المثال دون الالتجاء إلى حالة وجودية خاصة . انظر النصوص في : (Terre Celeste, op. Cit)

٣٥- تكررت هذه الأفكار مراراً في كتابات هنري كوربان ، ولقد جمعها معا ، وأظهرها في وضوح في فصل من كتابه (الخيال الخالق) ص ٦٢ - ٨٠ ، وفي الترجمة الإنجليزية ص ٧٧ - ١٠١ فصل (وضع الباطنية السرية).

٣٦- لقد أظهر لويس ماسنريون ذلك اظهاراً تاماً لامزيد علي ، فيما يتعلق بحالة الحلاج ، وهي حالة حاسمة فاصلة انظر (عذاب الحلاج) ص ٣٣٢ - ٩٣ : (Hallaj devent l'Islam) ومع أن تلميحات القشيري والغزالي قد أرسلت هنا ، فإن يضاف إليها أن كل الجماعات أو الطرق الصوفية سنية خلا استثناء وحيد هو : (نعمة إلهية)

٣٧- وهناك نصوص عديدة يمكن الاستشهاد بها في هذا المقام مثل : " الغنوص - العرفان الإسماعيلي ، بدون نقاش ، هو غنوص الخلاص عن طريق المعرفة " (ناصرى خسرو " ص ١٣٦ . " إن غرضه (يقصد العرفان) الوحيد هو إدراك الوجود كما هو ، وهنا يمكن أن يقال إن هذه المعرفة قد أشرقت للخلاص الغنوصي . (الخيال الخالق) ص ١٣٩ ، ٢٦٠ ، ٢٢١ (الترجمة الإنجليزية ص ١٩٧ ، ٣٥٨ - ٣٥٩)

٣٨ - يعتقد " القديس توما " أن الإنسان قبل السقوط في الخطيئة الأولى ، كان يتلقى المنح الإلهية ، مباشرة من الله بلا واسطة ، أما الخطيئة والكفارة فهي التي جعلت من الطبيعي اللازم للإنسان أن يتلقى العطايا الإلهية من خلال الوسائط البشرية (Cf. Summa, Th.III.q.61, art / and 2) .

٣٩- اقتبس هذا النص هنري كوربان في مقدمته لناصرى خسرو ، ص ١٤٢ .

L. Gardet, Revue des etudes islamiques, XXII (1945), P.142 - ٤ .

(مجلة الدراسات الإسلامية)

٤١- رينيه جينو (عبدالواحد يحيى) ولد في فرنسا سنة ١٨٨٧ م ، وبعد طفولة كاثوليكية متمزمة ،

ذهب إلى باريس ، في سنة الثامنة عشرة ، للحصول على شهادة دراسية في الرياضيات ، وبدلاً من ذلك شرع في دراسة الأديان الشرقية : خصوصاً الهندوسية والطاوية والإسلام . وقد دخل في الإسلام سنة ١٩١٢م وقد قاده اهتمامه العميق بالأديان ورويته الميتافيزيقية الثاقبة إلى وضع عدد من المؤلفات منها : (رمزية الصليب) (أزمة العالم المعاصر) (الشرق والغرب) (مدخل لدراسة المذاهب الهندوسية) (عصرالكم) (رب العالم) (الإنسان وتحوله طبقاً للفيدانتا) ، وله عدد من البحوث بالفرنسية لم تترجم بعد إلى الإنجليزية . وقد زار مصر سنة ١٩٣٠م لثلاثة أشهر فقط ، لكنه في الواقع استقر فيها بقية عمره ، وقد أصبح مصرياً قبيل وفاته سنة ١٩٥١م ، انظر كتابه :

-The Maltiple States of being, Suhail Academy, 1988, Lahore.

٤٢- بوركهات : مدخل للمذاهب العرفانية في الإسلام ، باريس والجزائر ١٩٥١ ، ١٩٦٩ ، ١٣٠ صفحة ، وقد ترجم إلى الإنجليزية تحت عنوان (مدخل للمذهب الصوفي) ترجمه Matheson ، وطبع في لاهور ١٩٥٩ في (١٥٥) صفحة . وقد طبع المؤلف نفسه ترجمة لفصوص الحكم لابن عربي ، بعنوان : La sagesse des prophetes (Paris, 1955)

وهناك متحدث آخر باسم هذا الاتجاه ، وهو من المتهمين كثيراً بالإسلام هو : Frithjof Schiion

"De L'unite transcendente des religions" - "Comprendre L'Islam, Paris 1961"

٤٣- الإشارة هنا إلى مجلة (معهد الآداب العربية في تونس) (IBLA) الأجزاء (٨ ، ١٩٤٠م) (١٠) سنة ١٩٤٧ ، (١٦ سنة ١٩٥١م) وكلها قد تضمنت مقالات علمية منشورة له .

٤٤- فيما يتعلق بالفلسفة نشر جارديه (La Pensee Religieuse d'Avicenne Paris 235 Pages 1951) ، وفي علم الكلام الإسلامي ، فإن العمل الأساسي نشره بالإشتراك مع الأب قنواطي بعنوان :

" مدخل لعلم الكلام الإسلامي " ، Introduction a' La Theologie Musulmane, Paris, " Dieu et La destinee de L'homme, Paris, 1948, 543 Pages) ونشر جارديه كذلك ، 1967

٤٥- ظهرت المقالات الرئيسية في مجلة (Recherches de Science religieuse, 1950) و (Revue Thomiste) 1948, 1952, 1953

والعمل الناتج الذي انجزه جارديه وقنواطي هو كتاب " التصوف الإسلامي : مظاهر ، واتجاهات ،

وتقنيات" باريس ١٩٦١م (٣١٠ صفحة) وقد نشرت الطبعة الأولى في إيطاليا سنة ١٩٦٠م ، في سلسلة :

(Storia e scienza delle religioni) وأشرف على نشرها المستشرق Mgt. Castellino

والهدف العام من هذه الملاحظة هو الاستعلاء الانتباه إلى فكر جارديه ، وهذا لايعني - بأي معنى - أن اسهام قنواتي عديم الأهمية ، إنه قد أهتم أكثر بالتطور التاريخي للتصوف ، ولم يكن في قصده تقديم اسهام أصيل ، وعوضاً عن ذلك فإنه اعتمد على المؤلفات الأساسية مثل مقال ماسنيون (Essa Sur Les origine) ، ومع ذلك فإنه يجب أن نعترف بأهمية عمل مدير معهد الدومنيكان بالقاهرة (أقصد : قنواتي) . وإن تحذيره ضد تسوية المصطلحات والأفكار ، وكذلك تحفظاته المستنبطة من الحياة ، وعن " روح الإسلام في زمانه الأولى " وفي كل عصر يمكن للمرء أن يقرأ Mystique musulmane ص ٩ - ١٠ ، وعن موقف المسلمين الحالي من التصوف ، الذي قد نشر الغزالي محبته وحبّه بين عامة المسلمين . ص ٥٠ - ٥١ .

٤٦- بشأن علم الكلام (اللاهوت) المقارن انظر : " مدخل لعلم الكلام الإسلامي " وفي التصوف المقارن انظر : Experiences mystiques en terres nonchrestiennes, Paris, 1953, 177 pages

-Theines et textes mystiques, recherche de criteres in mystique comparee, Paris, 1958, 219 pages,

٤٧- هناك تعليق جيد عن العلاقة بين " الأنصاري الهروي والحلاج " في كتاب الدكتور سعيد الأفغاني (شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري) والأفغاني يترجم في هذا الكتاب نصوصاً كثيرة من الفارسية للشيخ الهروي نفسه أو لمريديه ، وهو يذكر أن الهروي توقف في أمر الحلاج " فلم يقبله ولم يردّه " من كتاب " طبقات الصوفية " بالفارسية للهروي . ولقد تعرض ابن تيمية لنقد الشيخ الهروي " السلفي " من منطلق خطته في نقد الأفكار التي يراها خاطئة مهما يكن المصدر الذي جاءت منه هذه النظريات والأفكار ، أو هو من باب النقد الذاتي داخل الاتجاه أو المذهب الواحد .. نقد ابن تيمية الهروي في أكثر من نقطة :

منها وجهة نظره في " الفناء والتوحيد ، وعدم التفرقة بين المحبوب لله والمكروه له ، إلخ "

انظر لابن تيمية : " مجموعة الرسائل الكبرى " ج ٢ ، " - منهاج السنة " ج ٢ ، " - قواعد السلوك " .

وهناك مراجع أخرى تفيد في استعاب هذه المسألة ، إضافة إلى كتاب سعيد الأفغاني المشار إليه من قبل ، مثل :

- التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث " للأستاذ الدكتور مصطفى حلمي ، نشره دار الدعوة بالأسكندرية .

Hanbalite Islam, By George Makdisi, translated into English by M. L. Swartz (Studies on Islam, New York, Oxford, 1981, pp. 216-274)

٤٨- ونحن نمتلك مخطوطة للأنصاري وهي مجموع "الأربعين حديثاً" وهي لم تزل غير محققة ، وقد ذكر فيها أن الله يمضي (هرولة) وأن له ساقاً إلخ ، وأنه هنا بالمساعدة التي تلقيتها في حل طلاسم هذه المخطوطة من مدير قسم المخطوطات بدار الكتب بالقاهرة ، وهو لم يستطع أن يخفي دهشته وصدمة من هذه التعبيرات الدالة على التجسيم والتشبيه ، ومع ذلك ، فليست هذه هي الحالة الوحيدة لصوفية بلغوا مستوى عالياً في التصوف ، ومع ذلك فهم مبالون إلى نوع متشدد في التشبيه والتجسيم ، والقدس برنار يعد مثلاً غريباً لهذا النوع .

٤٩- يضم المجموع المسمى (أنصاريات) الذي نشره (معهد الآثار الشرقية بالقاهرة) شرحين لكتاب المنازل ؛ أحدهما للفركاوي ، والآخر لعبد المعطي اللخمي الإسكندري . وقد ظهر في هذا المجموع نشرة محققة تحقيقاً نقدياً لكتاب المنازل ، كما درست حياة الأنصاري في مقالين طويلين في مجلة معهد الدومنيكان للدراسات الشرقية بالقاهرة ٤ / ١٩٥٧ م . كما نشر كتاب (صد ميدان) - وهو أشبه بمسودة أولية لكتاب المنازل - المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة . ويضاف إلى ما قد سبق : نصوص للأنصاري في أضاير Melanges لويس ماسنيون ، باريس ودمشق ١٩٥٦ م ، وكذلك في أضاير فايت G. Wiet ١٩٦٠ م ، عن أدب الصوفية ، وفي أضاير طه حسين القاهرة ١٩٦٢ م بحث كتبه أبو منصور معمر الأصفهاني بعنوان كتاب (مهج الخاص) .

٥٠- نشرت خلاصة هذه المحاضرات في مجلة (IBLA) في تونس سنة ١٩٥٩ رقم ٢٢ ، وقد عقد المؤتمر الأخير من هذه السلسلة تحت عنوان : "Vocation spirituelle et monde d'aujourd'hui"

٥١- انظر مجلة (MIDEO) فقد نشرت مقالات لسرج دي بوروكوي تضم أفكاراً في التصوف المقارن . - الجزء ١ سنة ١٩٥٤ م ص ٩ - ٣٨ .

الجزء ٢ سنة ١٩٥٥ م ص ٥-٧ . - الجزء ٤ سنة ١٩٥٩ م / ١٩٦١ ص ٦٦ - ١٢٢ . - الجزء LIX سنة ١٩٥٩ م ص ٣٣٩ - ٣٦٨ .

٥٢- انظر على سبيل المثال كتاب هنري كوربان " الخيال الخالق " ص ٧٩ ومن الترجمة الإنجليزية ص

١٠٠ : فهو يقول : " نحن نعنى بكلمة تصوف - ويشكل أكثر تحديداً - كل من قد ذكرناهم من قبل ، من جماعة Fideli d'amour ويأتي على رأس هذه الجماعة - رجلان عظيمان هما : محي الدين بن عربي الذي لا يباري في تمكته من اللاهوت الصوفي ، وجلال الدين الرومي الشاعر الفارسي المتيم بالحب الإلهي " ص ١٠ .

٥٣- فيما يلي شهادتان إسلاميتان تردان من موقعيين متباينين ، أولاهما ما جاء في مجلة الأزهر عن أعمال ماسنيون و جاردية " .. الإسلام محدد وقاطع في تقرير من هو المسلم ومن هو غير المسلم ، ومعظم الذين يطلق عليهم المستشرقون صوفية ليسوا من الإسلام في شيء (عدد رجب ١٣٧٢ هـ مقتبس من MIDEO, I , p. 139 ولنتنبه إلى هذا الحكم ولنفسره تفسيراً صحيحاً . والشهادة الأخرى للحبيب بورقيبة الذي أشار في خطبه مراراً إلى السلوك السيئ للصوفية . وفيما يتعلق بالفتوى التي نازعها الصوفية وقالوا إن الغرض من الصيام هو إضعاف القوى الجسدية حتى يشع النور الإلهي في النفس . وقد أجاب الرئيس الذي أصدر الفتوى بوجوب الافطار في رمضان ساخراً : أي نكتة سخيفة هذه ؟ وهل نحن صوفية الزمان ؟ ليس هذا . زمان التصوف ، إنها معركة الحياة أو الموت . (راديو تونس ٨١ / ٢ / ١٩٦٠)

اقتبسه P. Rondot في : L'Islam et Les musulnians d'aujourd' hui II, Paris, 1960 P. 193